

تأملات شيخ الاسلام ابن تيمية

في

القرآن الكريم

سورة القمر

54

رقية محمود غرايبة

## الفهرس

|    |                  |
|----|------------------|
| 2  | الفهرس           |
| 6  | مقدمه سورة القمر |
| 8  | القمر 1-8        |
| 18 | القمر 9-22       |
| 25 | القمر 23-32      |
| 29 | القمر 33-42      |
| 34 | القمر 43-46      |
| 40 | القمر 47-55      |

## الفهرس (2)

2 \_\_\_\_\_ الفهرس

3 \_\_\_\_\_ الفهرس (2)

6 \_\_\_\_\_ مقدمه سورة القمر

6 \_\_\_\_\_ التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل

7 \_\_\_\_\_ إثبات نبوة الأنبياء

8 \_\_\_\_\_ القمر 8-1

8 \_\_\_\_\_ انشقاق القمر

9 \_\_\_\_\_ دلائل النبوة وأعلام الرسالة

12 \_\_\_\_\_ الرد على من ينكرون انشقاق القمر

13 \_\_\_\_\_ { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ }

13 \_\_\_\_\_ { وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ }

15 \_\_\_\_\_ ( وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ )

15 \_\_\_\_\_ أسماء القرآن

15 \_\_\_\_\_ اليوم الاخر هو كما ذكره الله

16 \_\_\_\_\_ لم يصف بالخشوع إلا أبصارهم

16 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية

18 \_\_\_\_\_ القمر 9-22

18 \_\_\_\_\_ آيات الأنبياء لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته

18 \_\_\_\_\_ يصفون الأنبياء بالجنون والسفه والضلال

19 \_\_\_\_\_ لفظ الدعاء يتناول معنيين

20 \_\_\_\_\_ الله سبحانه أعلم بنفسه

21 \_\_\_\_\_ من الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه

21 \_\_\_\_\_ قال تعالى { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَنْ كَانَ كُفْرًا } {14} وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ {15} القمر 14-15

22 \_\_\_\_\_ صيغة المفرد و الجمع تقتضى التعظيم الذى يستحقه

22 \_\_\_\_\_ سوء عاقبة الكفار فى الدنيا هو من باب الآيات

23 \_\_\_\_\_ الرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدوق المبين للناس

23 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية

- 25 كذبت ثمود بجنس الرسل \_\_\_\_\_
- 26 من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل بشرا \_\_\_\_\_
- 26 لفظ الضلال اذا أطلق \_\_\_\_\_
- 27 معجزات الأنبياء خارجة عن القوانين الطبيعية \_\_\_\_\_
- 27 { فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذْرِي } \_\_\_\_\_
- 27 { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ } \_\_\_\_\_
- 28 لطائف لغوية \_\_\_\_\_

- 29 لم يؤمنوا بأصل الرسالة \_\_\_\_\_
- 29 لفظ آل فلان في الكتاب والسنة \_\_\_\_\_
- 30 الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب \_\_\_\_\_
- 30 لفظ الذوق مستعمل في ادراك الملائم والمنافر \_\_\_\_\_
- 31 الملائكة تتصور بصورة البشر \_\_\_\_\_
- 31 وصف أهل الفواحش بطمس الأبصار \_\_\_\_\_
- 32 { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ } \_\_\_\_\_
- 32 لطائف لغوية \_\_\_\_\_

- 34 الله سبحانه يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة \_\_\_\_\_
- 34 التسوية بين المتماثلين من العدل والحكم الحسن \_\_\_\_\_
- 36 الإعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره \_\_\_\_\_
- 36 الرسل صلوات الله عليهم بينت الميزان العقلي \_\_\_\_\_
- 37 سنة الله في المؤمنين والكافرين \_\_\_\_\_
- 38 { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ } \_\_\_\_\_
- 39 الإخبار بالمستقبلات \_\_\_\_\_
- 39 لطائف لغوية \_\_\_\_\_

- 40 المجرمون هم المخالفون للرسول \_\_\_\_\_
- 40 لفظ الضلال اذا أطلق \_\_\_\_\_
- 41 لفظ الذوق يدل على جنس الاحساس \_\_\_\_\_

- 42 \_\_\_\_\_ ليس فى القرآن لفظ الا مقرون بما يبين به المراد
- 42 \_\_\_\_\_ علم الله سبحانه وإرادته قائم بنفسه
- 43 \_\_\_\_\_ الإيمان بالقدر نظام التوحيد
- 44 \_\_\_\_\_ من كذب بالقدر فقد كذب بالحق
- 45 \_\_\_\_\_ الفرق بين الامر الكونى والامر الدينى
- 45 \_\_\_\_\_ الأشياء لها وجود عينى ووجود علمى ولفظى ورسمى
- 46 \_\_\_\_\_ الأعمال فى الزبر كالرسول وكالقرآن فى زبر الأولين
- 47 \_\_\_\_\_ فى زبر الأولين ذكر القرآن وخبره
- 47 \_\_\_\_\_ الفرق بين كتابة الأسماء والكلام وبين كتابة المسميات والأعيان
- 48 \_\_\_\_\_ الحفظة الموكلين بينى آدم
- 48 \_\_\_\_\_ احصاء الأعمال يتضمن الوعيد بالجزاء
- 48 \_\_\_\_\_ الكبائر هى ما فيها حد فى الدنيا أو فى الآخرة
- 49 \_\_\_\_\_ التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله
- 49 \_\_\_\_\_ لم يعلق وعد الجنة الا باسم الإيمان
- 50 \_\_\_\_\_ {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ}
- 51 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية

# ~ §§ القمر (مكية) 55 §§ ~

## مقدمه سورة القمر

### التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل

ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته فى الآفاق وفى انفسنا وبما شهد به فى كتابه أن المعاصى سبب المصائب فسيئات المصائب والجزاء من سيئات الأعمال وان الطاعة سبب النعمة فاحسان العمل سبب لاحسان الله قال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } النساء 79 وقال { وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ } الشورى 48 وقد أخبر سبحانه بما عاقب به أهل السيئات من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وقوم فرعون فى الدنيا وأخبر بما يعاقبهم به فى الآخرة ولهذا قال مؤمن آل فرعون { يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ } 30 { مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ } 31 { وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ } 32 { يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } 33 { غافر 30-33 } وقال تعالى { كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَى أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } القلم 33 وقال { سَتُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرْتَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ } التوبة 101 ولهذا يذكر الله فى عامة سور الانذار ما عاقب به أهل السيئات فى الدنيا وما أعده لهم فى الآخرة وقد يذكر فى السورة وعد الآخرة فقط اذ عذاب الآخرة أعظم وثوابها أعظم وهى دار القرار وانما يذكر ما يذكره من الثواب والعذاب فى الدنيا تبعا كقوله عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام { وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } العنكبوت 27 وأما ذكره لعقوبة الدنيا والآخرة فى سورة ق ذكر حال المخالفين للرسول وذكر الوعد والوعيد فى الآخرة وكذلك فى **سورة القمر** ذكر هذا وهذا وكذلك فى آل حم مثل حم غافر والسجدة والزخرف والدخان وغير ذلك الى غير ذلك مما لا يحصى فان التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل كما فى صحيح البخارى عن يوسف بن ماهك قال انى عند عائشة أم المؤمنين اذ جاءها عراقى فقال أى الكفن خير قالت ويحك وما يضرك قال يا أم المؤمنين أرىنى مصحفك قال لم قال لعلى أولف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف قالت وما يضرك أياه قرأت قبل إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا تاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شئ لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وانى لجارية ألعب { **بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ** } القمر 46 وما نزلت سورة البقرة و النساء إلا وانا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آى السور <sup>1</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 141 و الاستقامة ج: 2 ص: 239

## إثبات نبوة الأنبياء

وأما إثبات نبوة الأنبياء بما فعله بهم وبأتباعهم من النجاة والسعادة والنصرة وحسن العاقبة وما جعله لهم من لسان الصدق وما فعله بمكذبيه ومخالفيه من الهلاك والعذاب وسوء العاقبة وإتباعهم اللعنة في الدنيا مع عذاب الآخرة فهذا يدل مع صدق الأنبياء على الرغبة في اتباعهم والرغبة من مخالفتهم ففيه العلم بصدقهم والموعظة والوعظ هو أمر ونهي بترغيب وترهيب قال تعالى { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ { النساء66 أي يؤمرون به وقال { يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ { النور17 أي ينهاكم الله أن تعودوا لمثله وهذه الطريق أكمل وأبلغ في حصول المقصود فإنها تفيد العلم بصدقهم والرغبة في اتباعهم والرغبة من خلافهم وتفيد صحة الدين الذي دعوا إليه وسعادة أهله وفساد الدين المخالف لدينهم وشقاوة أهله ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة العيد ب قاف و ( **اقتربت الساعة وانشق القمر** {1} **القمر** 1 لما فيهما من بيان ذلك وسورة قاف كان يقرأ بها في الجمعة فإنها جامعة لإثبات النبوات والمعاد وبيان حال متبعي الأنبياء ومخالفهم في الدنيا كما قال تعالى فيها { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ {12} وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ {13} وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ {14} ق 12-14

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 428

## القمر 1-8

اقتربت الساعة وانشق القمر {1} وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر  
مستمر {2} وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر {3} ولقد جاءهم من  
الأنبياء ما فيه مزدجر {4} حكمة بالغة فما تغن النذر {5} فتول عنهم يوم يدع  
الداع إلى شيء نكر {6} خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجدات كأنهم جراد  
منتشر {7} مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر {8}

## انشقاق القمر

وآياته صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع الأول منها ما هو في العالم العلوي  
كانشق القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث كمعراجة إلى السماء فقد ذكر الله  
انشقاق القمر وبين ان الله فعله وأخبر به لحكمتين عظيمتين أحدهما كونه من آيات النبوة لما سأله  
المشركون آية فأراهم انشقاق القمر والثانية أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك وأن ذلك دليل على ما  
أخبرت به الأنبياء من انشقاق السموات ولهذا قال تعالى { اقتربت الساعة وانشق القمر {1} وإن يروا  
آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر {2} وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر {3} ولقد جاءهم من  
الأنبياء ما فيه مزدجر {4} حكمة بالغة فما تغن النذر {5} فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء  
نكر {6} خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجدات كأنهم جراد منتشر {7} القمر 1-7 فذكر اقتراب  
الساعة وانشقاق القمر وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لأنه أقرب إلى  
الأرض من الشمس والنجوم وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك إذ هو الجسم المستنير الذي  
يظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهوراً لا يتمارى فيه وأنه نفسه إذا قبل الانشقاق فقبول محله أولى  
بذلك وقد عاينه الناس وشاهدوه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهذه السورة في المجالس الكبار  
مثل صلاة الجمعة والعيدين ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار بما فيها وكل  
الناس يقر بذلك ولا ينكره فعلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة وفي صحيح مسلم ان  
عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ما كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى  
والفطر فقال كان يقرأ فيهما ب قاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر ومعلوم بالضرورة  
في مطرد العادة أنه لو لم يكن انشقاق لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك فضلاً عن أعدائه الكفار  
والمنافقين ومعلوم أنه كان من أحرص الناس على تصديق الخلق له واتباعهم إياه فلو لم يكن انشقاق لما  
كان يخبر به ويقرؤه على جميع الناس ويستدل به ويجعله آية له وفي الصحيحين عن أنس بن مالك  
قال إن أهل مكة سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين وعنه  
قال إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فانشق القمر فرقتين ورواه  
الترمذي وزاد فيه فنزلت { اقتربت الساعة وانشق القمر {1} القمر 1 إلى قوله تعالى { ويقولوا }  
سحر مستمر {2} القمر 2 يقول ذاهب وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهدوا وعن ابن مسعود  
أيضا قال رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم شقة على جبل أبي



قبيس وشقة على السويداء فقال كفار قريش اهل مكة هذا سحر سحركم به ابن ابي كبشة انظروا السفار فإن كانوا رأوا مثل ما رأيتم فقد صدق وإن لم يكونوا رأوا مثل ما رأيتم فهو سحر قال فسئل السفار وقدما من كل وجه فقالوا رأينا رواه البخاري ومسلم وروى البخاري عن ابن عباس أنه قال انشق القمر على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم عن ابن عمر في قوله تعالى { أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } 1 قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق القمر فلتقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر ونحن بمكة حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقال الناس سحرنا محمد قال رجل إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم رواه الترمذي<sup>1</sup>

## دلائل النبوة وأعلام الرسالة

أن تأويل الخبر هو وجود المخبر به و تأويل الأمر هو فعل المأمور به فالآية التي مضي تأويلها قبل نزولها هي من باب الخبر يقع الشيء فيذكره الله كما ذكر ما ذكره من قول المشركين للرسول و تكذبيهم له و هي و إن مضي تأويلها فهي عبرة و معناها ثابت في نظيرها و من هذا قول ابن مسعود خمس قد مضين و منه قوله تعالى { أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } 1 { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ } 2 { وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقِرٌّ } 3 { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } 4 { القمر 1-4 }<sup>2</sup>

وقد أيد الله سبحانه وتعالى تأييدا لا يؤيد به إلا الأنبياء بل لم يؤيد أحد من الأنبياء كما أيد به كما أنه بعث بأفضل الكتب إلى أفضل الأمم بأفضل الشرائع وجعله سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم فلا يعرف قط أحد ادعى النبوة وهو كاذب إلا قطع الله دابره وأذله وأظهر كذبه وفجوره وكل من أيد به الله من المدعين للنبوة لم يكن إلا صادقا كما أيد نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان بل وأيد شعيبا وهودا وصالحا فإن سنة الله أن ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد وهذا هو الواقع فمن كان لا يعلم ما يفعله الله إلا بالعادة فهذه عادة الله وسنته يعرف بها ما يصنع ومن كان يعلم ذلك بمقتضى حكمته فإنه يعلم أنه لا يؤيد من ادعى النبوة وكذب علي تأييدا لا يمكن أحدا معارضته وهكذا أخبرت الانبياء قبله أن الكذاب لا يتم الله أمره ولا ينصره ولا يؤيده فصار هذا معلوما من هذه الجهات ولهذا أمر سبحانه أن نعتبر بما فعله في الأمم الماضية من جعل العاقبة للأنبياء وأتباعهم وانتقامه ممن كذبهم وعصاهم فإنه قد يشهد للقرآن بأنه حق بالآيات البيّنات والبراهين الدالة على صدقه التي تتبين بشهادة الرب تعالى بأنه حق فلا يحتاج مع الشهادة الحاضرة إلى انتظار الآيات المستقبلية وقال تعالى { أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } 1 { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ } 2 { وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقِرٌّ } 3 { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } 4 { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ } 5 سورة القمر الآيات 1 5 أخبر باقتراب الساعة وانشقاق القمر وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الأخبار وكان النبي صلى الله

<sup>1</sup> الجواب الصحيح ج: 6 ص: 159-164

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 373

عليه وسلم يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل الجمع والأعياد ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره فعلم أن انشقاق القمر كان معلوما عند الناس عامة ثم ذكر حال الأنبياء ومكذبيهم فقال { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {9} فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ {10} فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ {11} وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ {12} وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ {13} تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ {14} وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {15} سورة القمر الآيات 9 15

فأخبر أنه أبقى السفن آية على قدرة الرب وعلى ما جرى لنوح مع قومه ثم قال فكيف كان عذابي لمن كذب ونذري وكذلك ذكر قصة عاد وثمود ولوط وغيرهم يقول في عقب كل قصة فكيف كان عذابي ونذره وإنذاره وهو ما بلغته عنه الرسل من الإنذار وكيف كانت عقوبته للمنذرين والإنذار هو الإعلام بالمخوف فتبين بذلك صدق ما أخبرت به الرسل من الإنذار وشدة عذابه لمن كذب رسله وذكر قصة فرعون فقال {40} وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ {41} كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٍ {42} أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ {43} أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ {44} سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ {45} سورة القمر الآيات 41 45 وذكر في قصة محمد صلى الله عليه وسلم مع الناس أنواعا من ذلك فقال { قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ {13} سورة آل عمران الآية 13 ومثل هذا كثير في القرآن من ذكر دلائل النبوة وأعلام الرسالة ليس هذا موضع بسطه وإنما المقصود هنا التنبيه على جنس ذلك وما يذكره بعض أهل الكتاب أو غيرهم من أنه نصر فرعون ونمرود وسنحاريب وجنكسان وغيرهم من الملوك الكافرين جوابه ظاهر فإن هؤلاء لم يدع أحد منهم النبوة وأن الله أمره أن يدعو إلى عبادة الله وطاعته ومن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار بخلاف من ادعى أن الله أرسله بذلك فإنه لا يكون إلا رسولا صادقا ينصره الله ويؤيده وينصر أتباعه ويجعل العاقبة لهم أو يكون كذابا فينتقم الله منه ويقطع دابره ويتبين أن ما جاءه به ليست من الآيات والبراهين التي لا تقبل المعارضة بل هي من جنس مخارق السحرة والكهان والكذابين التي تقبل المعارضة فإن معجزات الأنبياء من خواصها أنه لا يقدر أحد أن يعارضها ويأتي بمثلها بخلاف غيرها فإن معارضتها ممكنة فيبطل دلائلها والمسيح الدجال يدعي الإلهية ويأتي بخوارق ولكن نفس دعواه الإلهية دعوى ممتنعة في نفسها ويرسل الله عليه المسيح بن مريم فيقتله ويظهر كذبه ومعه ما يدل على كذبه من وجوه منها أنه مكتوب بين عينيه كافر ومنها أنه أعور والله ليس بأعور ومنها أن أحدا لن يرى ربه حتى يموت ويريد أن يقتل الذي قتله أولا فيعجز عن قتله فمعه من الدلائل الدالة على كذبه ما يبين أن ما معه ليس آية على صدقه بخلاف معجزات الأنبياء فإنه لا يمكن أحد من الإنس والجن أن يأتي ينظيرها ولا يبطلها مثل قلب العصل حية لموسى وإخراج ناقة لصالح من الأرض وإحياء الموتى للمسيح وانشقاق القمر وأنزال القرآن وغير ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم فإن المشركين لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم آية واقترحوا عليه انشقاق القمر فأراهم ذلك وقد أخبر الله تعالى بذلك في القرآن فقال تعالى سورة القمر الآيات 7 1 ثم ذكر تعالى ما جرى قبله للمكذبين فذكر قصة قوم نوح وهود وصالح ولوط ثم فرعون وهذه السورة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في أعظم اجتماعات الناس عنده وهي الأعياد والناس كلهم يسمعون ما يذكره من انشقاق القمر وقول المكذبين أنه سحر والناس كلهم المؤمن به والمنافق والكافر يقرون على هذا لم يقل أحد منهم أن القمر لم ينشق ولا أنكره أحد وفي صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي ما يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى والفطر فقال كان يقرأ فيهما بقاف والقرآن المجيد

واقتربت الساعة وانشق القمر معلوم بالضرورة في مطرد العادة أنه لو لم يكن انشقق لأسرع الناس المؤمنون به إلى تكذيب ذلك فضلا عن أعدائه من الكفار والمنافقين لا سيما وهو يقرأ عليهم ذلك في أعظم مجامعهم وأيضا فمعلوم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان من أحرص الخلق على تصديق الناس له واتباعهم إياه مع أنه كان أخبر الناس بسياسة الخلق فلو لم يكن القمر انشق لما كان يخبر بهذا ويقرأه على جميع الخلق ويستدل به ويجعله آية له فإن من يكون من أقل الناس خبرة بالسياسة لا يعتمد إلى ما يعلم جميع الناس أنه كاذب به فيجعله من أعظم آياته الدالة على صدقه ويقرأه على الناس في أعظم المجامع وقال اقتربت الساعة وانشق القمر بصيغة الفعل الماضي ولم يقل قامت الساعة ولا ستقوم بل قال اقتربت أي دنت وقربت وانشق القمر الذي هو دليل على نبوة محمد وعلى إمكان انحراب الفلك الذي هو قيام القيامة وهو سبحانه قرن بين خبره باقتراب الساعة وخبره بانشقاق القمر فإن مبعث محمد صلى الله عليه وسلم هو من أشراط الساعة وهو دليل على قربها كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى وقد قال تعالى { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ } {18} سورة محمد الآية 18 وعلم الساعة أخفاها الله عن جميع خلقه كما يذكر ذلك عن المسيح في الإنجيل أنه لما سئل عنها فقال إنها لا يعلمها أحد من الناس ولا الملائكة ولا الابن وإنما يعلمها الأب وحده وهذا مما يدل على أنه ليس هو رب العالم وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك لما سئل عنها قال تعالى { 186 } يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } {187} سورة الأعراف الآية 187 ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أي خفيت على أهل السموات والأرض وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله فانشقاق القمر كان آية على شيين على صدق الرسول وعلى مجيء الساعة وإمكان انشقاق الفلك فإن المنكرين لقيام القيامة الكبرى قيام الناس من قبورهم لرب العالمين وانشقاق السموات وانفطارها سواء أقرأوا بالقيامة الصغرى وأن الأرواح بعد الموت تنعم أو تعذب كما هو قول الفلاسفة اللاهيين أو أنكروا المعاد مطلقا كما أنكروا ذلك من أنكروه من مشركي العرب والفلاسفة الطبيعيين وغيرهم ينكرون انشقاق السموات ويزعم هؤلاء الدهرية أن الأفلاك لا يجوز عليها الانشقاق كما ذكر ذلك أرسطو وأتباعه وزعموا أن الانشقاق يقتضي حركة مستقيمة وهي ممتنعة بزعمهم في الفلك المحدد إذ لا خلاء وراءه عندهم وهذا لو دل فإنما يدل على ذلك في الفلك الأطلس لا فيما دونه فكيف وهو باطل فإن الحركة المستقيمة هناك بمنزلة جعل الأفلاك ابتداء في هذه الأحياز التي هي فيها سواء سمي خلاء أو لم يسم كما هو مذكور في غير هذا الموضع والمقصود هنا أنه تعالى أخبر بانشقاق القمر مع اقتراب الساعة لأنه دليل على إمكان انشقاق الافلاك وانفطارها الذي هو قيام الساعة الكبرى وهو آية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو من أشراط الساعة والله تعالى في كتابه يجمع بين ذكر القيامة الكبرى والصغرى كما في سورة الواقعة ذكر في أولها القيامة الكبرى وفي آخرها القيامة الصغرى وذلك كثير في سور القرآن مثل سورة ق وسورة القيامة وسورة التكاثر وسورة الفجر وغير ذلك وقد استفاضت الأحاديث بانشقاق القمر ففي الصحيحين عن ابن مسعود أنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهدوا وفي لفظ ونحن معه بمنى فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال جل منهم إن محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك وعن أنس بن مالك أنه

قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما فنزلت سورة القمر الآيتان 21 وهذا حديث صحيح مستفيض رواه ابن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس وهو أيضا معروف عن حذيفة قال أبو الفرج بن الجوزي والروايات في الصحيح بانشقاق القمر عن ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأنس رضي الله عنهم<sup>1</sup>

## الرد على من ينكرون انشقاق القمر

قال تعالى { أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } {1} وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ {2} وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ {3} وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ {4} القمر 1-4

وانشقاق القمر لنبينا صلى الله عليه وسلم هو عند المتفلسفة ممتنع لا يمكن لا بقوى نفس ولا غير ذلك لأن الفلك دائم الحركة ومعلوم أن هذه المعجزات لا ريب فيها وانشقاق القمر قد أخبر الله به في القرآن وتواترت به الأحاديث كما في الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود وأنس وابن عباس وغيرهم وأيضا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهذه السورة في الأعياد والمجامع العامة فيسمعها المؤمن والمنافق ومن في قلبه مرض ومن المعلوم أن ذلك لو لم يكن وقع لم يكن ذلك أما أولا فلأن من مقصوده أن الناس يصدقونه ويقرون بما جاء به لا يخبرهم دائما بشيء يعلمون كذبه فيه فإن هذا ينفرهم ويوجب تكذيبهم لا تصديقهم وأما ثانيا فلأن المؤمنين كانوا يسألونه عن أدنى شبهة تقع في القرآن حتى نساؤه فراجعته عائشة في قوله من نوقش الحساب عذب وذكرت قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا سورة الإنشقاق 8 حتى قال لها ذلك العرض وراجعته حفصة في قوله لن يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وذكرت قوله تعالى وإن منكم إلا واردها سورة مريم 71 حتى أجابها بقوله ألم تسمعي قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا سورة مريم 72 وراجع عمر بقوله لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين سورة الفتح 27 عام الحديبية لما صالح المشركين على الرجوع ذلك العام حتى قال له أبو بكر كما قال له النبي صلى الله عليه وسلم أقال لك أن تدخله هذا العام قال لا قال فإنك داخله ومطوف به وأمثال ذلك كثيرة فكيف يقرأ عليهم دائما ما فيه الخبر بانشقاق القمر ولا يرد على ذلك مؤمن ولا كافر ولا منافق مع أن ابن الربيعي وغيره من المشركين تعلقوا بالقياس الفاسد في قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون سورة الأنبياء 98 فقاس المسيح على الأصنام بكونه معبودا وهذا معبود وهذا من جهله بالقياس فإن الفرق ثابت بأن هؤلاء أحيانا ناطقون وهم صالحون يتألمون بالنار فلا يعذبون لأجل كفر غيرهم بخلاف الحجارة التي تلقى في النار إهانة لها ولمن عبدها قال الله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أأللهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون سورة الزخرف 57 58 فلو لم يكن انشقاق القمر معلوما معروفا عندهم لعظم في إنكاره القيل والقال وكثرة الاعتراض وكثرة السؤال وصار في ذلك من المراء والجدال ما لا يخفى على أدنى الرجال<sup>2</sup>

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 414-424

<sup>2</sup>الصفدية ج: 1 ص: 139-140

وبهذا يظهر جوابهم عن انكارهم انشقاق القمر فإن عمدتهم فيه أن الفلك لا يقبل الانشقاق وقد عرف فسد ذلك عقلا وسمعا وتواتر عن الأنبياء أنهم أخبروا بانشقاق السموات وإيضاح الرد على هؤلاء أن ما يثبتونه من أن الحركة لا بد لها من جهة ومحدد يحدد الجهات إنما يدل على الافتقار إلى جنس المحدد لا يدل على الاحتياج إلى محدد معين فإذا قدر أنه خلق وراء المحدد محددًا آخر وخرق الأول حصل به المقصود وهكذا عامة أدلتهم إنما تدل على شيء مطلق لكن يعينونه بلا حجة فيغلطون في التعيين كدليلهم على دوام الفاعلية أو الحركة أو زمانها فإن ذلك لا يدل على الحركة الفلكية وأن الزمان هو مقدار الحركة بل إذا كان الله قد خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام كما أخبرت به الرسل لم تكن تلك الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض هي مقدار حركة الشمس التي هي مما خلق في تلك الأيام بل وقد أخبر الله تعالى أنه كان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وأخبر أنه خلق السموات من دخان وهو بخار الماء فإذا كان قبل هذه الحركات المشهودة حركات أخرى لأجسام غير هذه الأجسام المشهودة لم يكن هذا مناقضا لما دل عليه العقل والشبهة الثانية ظن بعض المتفلسفة كأرسطو وشيعته أن الأفلاك لا تقبل الانشقاق وحثهم على ذلك في غاية الضعف فإنهم قالوا لو كانت تقبل الانشقاق لكان المحدد للأفلاك المحرك لها يتحرك حركة مستقيمة والحركة المستقيمة تحتاج إلى خلاء خارج العالم ولا خلاء هناك وهذه الحجة فاسدة من وجوه منها أنها تدل على ذلك في الفلك الأعلى لا فيما دونه كفلك القمر وغيره وهذا مما أجابهم به الرازي وغيره ومنها أن وجود أجسام خارج الفلك كوجود الفلك في حيزه يحتاج إلى خلاء وقوله بنفي الخلاء خارجه كقوله بنفي الخلاء عن حيزه فإن كان الخلاء عدما محضا فهو منتف في الجانبين وإن قيل إنه أمر وجودي لزم أن يحتاج إليه في الموضوعين وحينئذ فيبطل القول بنفيه وكذلك ما يذكرونه في قدم العالم فليس مع القوم دليل واحد عقلي صحيح يناقض ما أخبرت به الرسل ولكن قد تناقض ما يظنه بعض أهل الكلام من دين الرسل كما قد بسط في غير هذا الموضوع<sup>1</sup>

### { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ }

قال تعالى { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } {1} { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ } {2} وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ } {3} وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } {4} القمر 1-4 وقد عرف الناس أن السحرة لهم خوارق ولهذا كانوا إذا طعنوا في نبوة نبي واعتقدوا علمه قالوا هو ساحر وقال تعالى عن كفار العرب { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ } القمر 2 ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه<sup>2</sup>

### { وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ }

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 180-182

<sup>2</sup>النبوات ج: 1 ص: 22

قال تعالى { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } {1} وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ {2} وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ {3} وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ {4} القمر 1-4

والهوى مصدر هوى هوى هوى ونفس المهوى يسمى هوى ما يهوى فاتباعه كاتباع السبيل كما قال تعالى { وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ } القمر 3 وكما في لفظ الشهوة فاتباع الهوى يراد به نفس مسمى المصدر أي اتباع ارادته ومحبه التي هي هواه واتباع الارادة هو فعل ما تهواه النفس كقوله تعالى واتبع سبيل من أناب الي وقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السيل فتفرق بكم عن سبيله وقال ولا تتبعوا من دونه أولياء فلفظ الاتباع يكون للأمر الناهي وللأمر والنهي وللمأمور به والمنهي عنه وهو الصراط المستقيم كذلك يكون للهوى أمر ونهي وهو أمر النفس ونهيا كما قال تعالى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم ولكن ما يأمر به من الأفعال المذمومة فأحدها مستلزم للآخر فاتباع الأمر هو فعل المأمور واتباع أمر النفس هو فعل ما تهواه فعلى هذه يعلم أن اتباع الشهوات واتباع الأهواء هو اتباع شهوة النفس وهواها وذلك يفعل ما تشتهي وتهواه بل قد يقال هذا هو الذي يتعين في لفظ اتباع الشهوات والأهواء لأن الذي يشتهي ويهوى انما يصير موجودا بعد أن يشتهي ويهوى وإنما يذم الانسان اذا فعل ما يشتهي ويهوى عند وجود فهو حينئذ قد فعل ولا ينهى عنه بعد وجوده ولا يقال لصاحبه لا تتبع هواك وأيضا فالفعل المراد المشتهى الذي يهواه الانسان هو تابع لشهوته وهواه فليست الشهوة والهوى تابعة له فاتباع الشهوات هو اتباع شهوة النفس واذا جعلت الشهوة بمعنى المشتهى كان مع مخالفة الأصل يحتاج الى أن يجعل في الخارج ما يشتهي والانسان يتبعه كالمراة المطلوبة أو الطعام المطلوب وإن سميت المراة شهوة والطعام أيضا كما في قوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وطعامه وشرابه وشهوته من أجلي أي بترك شهوته وهو إنما يترك ما يشتهي كما يترك الطعام لا أنه يدع طعامه بترك الشهوة الموجودة في نفسه فإن تلك مخلوقة فيه مجبول عليها وإنما يثاب اذا ترك ما تطلبه تلك الشهوة و حقيقة الأمر أنهما متلازمان فمن اتبع نفس شهوته القائمة بنفسه اتبع ما يشتهي وكذلك من اتبع الهوى القائم بنفسه اتبع ما يهواه فإن ذلك من آثار الارادة واتباع الارادة هو امتثال أمرها وفعل ما تطلبه كالمأمور الذي يتبع أمر أميره ولا بد أن يتصور مراده الذي يهواه ويشتهي في نفسه ويتخيله قبل فعله فيبقى ذلك المثال كالإمام مع المأموم يتبعه حيث كان وفعله في الظاهر تبع لاتباع الباطن فتبقى صورة المراد المطلوب المشتهى التي في النفس هي المحركة للانسان الأمرة له ولهذا يقال العلة الغائية علة فاعلية فإن الانسان للعلة الغائية بهذا التصور والارادة صار فاعلا للنفعل وهذه الصورة المرادة المتصورة في النفس هي التي جعلت الفاعل فاعلا فيكون الانسان متبعا لها والشيطان يمدده في الغي فهو يقوي تلك الصورة ويقوي أثرها ويزين للناس اتباعها وتلك الصورة تتناول صورة العين المطلوبة كالمحبوب من الصور والطعام والشراب وتتناول نفس الفعل الذي هو المباشرة لذلك المطلوب المحبوب والشيطان والنفس تحب ذلك وكلما تصور ذلك المحبوب في نفسه أراد وجوده في الخارج فإن أول الفكر آخر العمل وأول البغية آخر الدرك ولهذا يبقى الانسان عند شهوته وهواه أسيرا لذلك مقهورا تحت سلطان الهوى أعظم من قهر كل قاهر فإن هذا القاهر الهوائي القاهر للعبد هو صفة قائمة بنفسه لا يمكنه مفارقتها البتة والصورة الذهنية تطلبها النفس فإن المحبوب تطلب النفس أن تدركه وتمثله لها في نفسها فو متبع للارادة وإن كانت الذهنية والتزين من الزين والمراد التصور في نفسه والمشتهى الموجود في الخارج له محركان التصور والمشتهى هذا يحركه تحريك طلب وأمر وهذا يأمره أن يتبع طلبه وأمره فاتباع الشهوات والأهواء يتناول هذا كله بخلاف كل قاهر ينفصل عن الانسان فإنه يمكنه مفارقتها مع بقاء نفسه على حالها وهذا انما يفارقه بتغير صفة نفسه ولهذا قال النبي صلى الله عليه

وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والصدق في الفقر والغنا وكلمة الحق في الغضب والرضا وقوله في الحديث هوى متبع فيه دليل على أن المتبع هو ما قام في النفس كقوله في الشح المطاع وجعل الشح مطاعاً لأنه هو الأمر وجعل الهوى متبعاً لأن المتبع قد يكون اماماً يقتدى به ولا يكون أمراً<sup>1</sup>

### ( وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ )

قال تعالى { أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } {1} وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ {2} وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ {3} القمر 1-3 ثم قال ( وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ) القمر 4 أي من أنباء الغيب وما أخبر به ما فيه مزدجر أي ما يزرهم عن الكفر إذ كان في تلك الإنبياءات بيان صدق الرسول والإنذار لمن كذبه بالعذاب كما عذب المتقدمون ولهذا يقول عقيب القصة { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ } القمر 16 أي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي وإنذاري بذلك قبل مجيئه ببيان صدق قوله الذي أخبرت به الرسل وعقوبته لمن كذبهم ثم ذكر قصة المكذبين كنوح وهود وصالح ولوط<sup>2</sup>

### أسماء القرآن

أسماء القرآن القرآن الفرقان الكتاب الهدى النور الشفاء البيان الموعدة الرحمة بصائر البلاغ الكريم المجيد العزيز المبارك التنزيل المنزل الصراط المستقيم حبل الله الذكر الذكري تذكرة حكمة في قوله { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } {4} حِكْمَةٌ بِالْعَمَّةِ {5} القمر 4-5<sup>3</sup>

### اليوم الآخر هو كما ذكره الله

قال تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ } التوبة 29 مع ان النصارى يقولون بمعاد الابدان لكن لما انكروا ما اخبر به الرسول من الاكل والشرب ونحو ذلك صاروا ممن لا يؤمن بالله واليوم الآخر وهؤلاء الفلاسفة لا يقولون بمعاد الابدان ولهم في معاد النفوس ثلاثة اقوال والثلاثة تذكر عن الفارابي نفسه انه كان يقول تارة هذا وتارة هذا وتارة هذا منهم من يقر بمعاد الانفس مطلقاً ومنهم من يقول انما تعاد النفوس العالمة دون الجاهلة فان العالمة تبقى بالعلم فان النفس تبقى ببقاء معلومها والجاهلة التي ليس لها معلوم باق تفسد وهذا قول طائفة من اعيانهم ولهم فيه مصنفات ومنهم من ينكر معاد الانفس كما ينكر معاد الابدان وهو قول طوائف منهم وكثير منهم يقول بالتناسخ وليس شيء من ذلك ايماناً باليوم الآخر فان اليوم الآخر هو الذي ذكره الله في قوله تعالى { رَبَّنَا إِنَّكَ

<sup>1</sup> الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 28

<sup>2</sup> الجواب الصحيح ج: 6 ص: 447

<sup>3</sup> مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 2

جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ { آل عمران 9 وقوله تعالى وقوله تعالى وقوله  
 { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ {6} خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ  
 مُنْتَشِرٌ {7} مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ {8} القمر 6-8<sup>1</sup>

## لم يصف بالخشوع إلا أبصارهم

قال تعالى { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ {6} خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ  
 كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ {7} مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ {8} القمر 6-8 أن خفض  
 البصر من تمام الخشوع كما قال تعالى { خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ { القمر 7 وقال  
 تعالى { وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ { الشورى 45<sup>2</sup>

خشوع البصر وخفضه وسكونه ضد تقلبيه في الجهات كقوله قال تعالى { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ  
 إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ {6} خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ {7} مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ  
 يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ {8} القمر 6-8 وقوله تعالى { يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا  
 كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ {43} خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً ذَلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ {44}  
 المعارف 43-44 وفي القراءة الأخرى خشعا أبصارهم وفي هاتين الآيتين وصف أجسادهم  
 بالحركة السريعة حيث لم يصف بالخشوع إلا أبصارهم بخلاف آية الصلاة فإنه وصف بالخشوع  
 جملة المصلين بقوله تعالى { الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ { المؤمنون 2 وقوله تعالى { وَإِنَّهَا  
 لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ { البقرة 45 وقال تعالى { يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا  
 يَسْتِطِيعُونَ {42} خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً ذَلَّةً وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ {43}  
 القلم 42-43<sup>3</sup>

## لطائف لغوية

1- قال تعالى { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ {1} وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ {2}  
 القمر 1-2

والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من  
 الأنبياء ويسميتها من يسميها من النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه الألفاظ  
 إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات  
 موجودا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن

<sup>1</sup>الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 460

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 580

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 566



كقوله تعالى في حق محمد { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } {1} وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ {2} القمر 1-2<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 5 ص: 416

## القمر 9-22

{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {9} فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ {10} فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ {11} وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ {12} وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ {13} تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ {14} وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {15} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ {16} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {17} كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ {18} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ {19} تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ {20} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ {21} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {22}

### آيات الأنبياء لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته

فإن الله سبحانه وتعالى لا يحدث شيئاً إلا بإحداث أسباب ودفع موانع مثال ذلك غرق قوم نوح لم يكن ماء وجد بلا سبب بل أنزل الله ماء السماء وأنبع ماء الأرض كما قال تعالى { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {9} فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ {10} فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ {11} وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ {12} وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ {13} تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ {14} وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {15} } القمر 9-15 وكل ما وجد في العالم من خوارق العادات آيات الأنبياء وغيرها لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته كآيات موسى من مثل مصير العصي حية كانت بعد أن ألقاها إما عند أمر الله بذلك لما ناداه من الشجرة ورأى النار الخارقة للعادة وإما عند مطالبة فرعون له له بالآية وإما عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم وكذلك سائر آياته حتى إغراق فرعون كان بعد مسير الجيش وضربه البحر بالعصا وكذلك تفجر الماء من الحجر كان بعد أن ضرب الحجر بعصاه واستسقاء قومه إياه وهم في برية لا ماء عندهم وكذلك آيات نبينا صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الماء كان بوضع يده فيه حتى نبع الماء من بين الأصابع أي تفجر الماء من بين الأصابع لم يخرج من نفس الأصابع وكذلك البئر كان مأوها يكثر إما بإلقائه سهما من كنانته فيها وإما بصبه الماء الذي بصق فيه فيها وكذلك المسيح كان يأخذ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله إلى أمثال ذلك<sup>1</sup>

### يصفون الأنبياء بالجنون والسفه والضللال

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 404

قد عرف الناس أن السحرة لهم خوارق ولهذا كانوا إذا طعنوا في نبوة نبي واعتقدوا علمه قالوا هو ساحر وان نسبوه إلى عدم العلم قالوا مجنون كما قالوا عن نوح **{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ { القمر 9 }<sup>1</sup>**

والكفار بالرسول من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وقوم إبراهيم وموسى ومشركى العرب والهند والروم والبربر والترك واليونان والكشديين وسائر الأمم المتقدمين والمستأخرين يتبعون ظنونهم واهواءهم ويعرضون عن ذكر الله الذى آتاهم من عنده كما قال لهم لما اهبط آدم من الجنة **{ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {38}** **{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {39}** البقرة 38-39 وفى موضع آخر **{ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى {123}** **{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124}** طه 123-124 الآية وفى أخرى **{ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي {الأعراف 35}** ثم إنهم مع أنهم ما نزل الله بما هم عليه من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس يزعمون أن لهم العقل والرأي والقياس العقلي والأمثال المضروبة ويسمون أنفسهم الحكماء والفلاسفة ويدعون الجدل والكلام والقوة والسلطان والمال ويصفون إتباع المرسلين بأنهم سفهاء وراذل وضلال ويسخرون منهم قال الله تعالى **{ كَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ {هود 38}** بل هم يصفون الأنبياء بالجنون والسفه والضلال وغير ذلك كما قالوا عن نوح **{ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ { القمر 9}** وقالوا **{ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {الأعراف 60}** ولهود **{ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ {الأعراف 66}**<sup>2</sup>

### لفظ الدعاء يتناول معنيين

قال تعالى **{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {9}** **{ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ {10}** **{ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ {11}** **{ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ {12}** **{ وَحَمَلْنَا عَلَى دَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ {13}** **{ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِمَنْ كَانَ كُفِرَ {14}** **{ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {15}** **{ القمر 9-15}** لفظ الدعاء والدعوة فى القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى **{ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ {الشعراء 213}** وقال تعالى **{ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ {المؤمنون 117}** وقال تعالى **{ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ {القصص 88}** وقال **{ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا {الجن 19}** وقال **{ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا {النساء 117}** ولفظ الصلاة فى اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفى الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له فذكر اولاً لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل

<sup>1</sup>النبوات ج: 1 ص: 22

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 11

كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمة ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَذْعُرُونَ رَغَبًا وَرَهَبًا } الانبياء 90 وقال تعالى { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع<sup>1</sup>

### الله سبحانه أعلم بنفسه

فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه { وَحَمَلْنَا عَلَى دَاتِ أَلْوَابِ } {13} تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ} {14} القمر 13-14<sup>2</sup>

<sup>11</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 240

<sup>22</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130-131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 11

## من الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه

قال تعالى { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَنْ كَانَ كُفْرًا } 14 { وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ

### من مُدَكِّر {15} القمر 14-15

قد اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أهل الفقه والحديث والتصوف والمعرفة وأئمة أهل الكلام من الكلابية والكرامية والأشعرية كل هؤلاء يثبتون لله صفة الوجه واليد ونحو ذلك وقد ذكر الأشعري في كتاب المقالات أن هذا مذهب أهل الحديث وقال إنه به يقول فقال في جملة مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث الإقرار بكذا وكذا وأن الله على عرشه استوى وأن له يدين بلا كيف كما قال { خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } ص75 وكما قال { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } المائدة64 وأن له عينين بلا كيف كما قال { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا } القمر14 وأن له وجهها كما قال { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } الرحمن27<sup>1</sup>

وقال أبو عبدالله محمد بن أبي زمنين الإمام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال فيه في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه قال وأعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به انبيأؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علما والعجز عن ما لم يدع إليه إيماناً وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه التي حيث انتهى في كتابه على لسان نبيه وقد قال وهو اصدق القائلين { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَنْ كَانَ كُفْرًا } القمر14 ومثل هذا في القرآن كثير فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه ويسمع ويرى ويتكلم هو الأول لا شيء قبله والآخر الباقي إلى غير نهاية ولا شيء بعده والظاهر العالی فوق كل شيء والباطن بطن علمه بخلقه فقال { وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } البقرة29 قيوم حتى لا تأخذه سنة ولا نوم وذكر أحاديث الصفات وذكر أحاديث الصفات ثم قال فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى11 لم تره العيون فتحدده كيف هو ولكن رأته القلوب في حقائق الايمان<sup>2</sup>

وقال أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الاسلاميين وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله تعالى وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون شيئاً من ذلك وإن الله واحد احد فرد صمد لا اله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وإن محمداً عبده ورسوله وإن الجنة حق وإن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وإن الله على عرشه كما قال { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه5 وإن له يدين بلا كيف كما قال { لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } ص75 وكما

<sup>11</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 174

<sup>22</sup>مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 57

قال { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } المائدة 64 وان له عينين بلا كيف كما قال { **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** القمر 14 } وان له وجهها كما قال { **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** الرحمن 27 } وقال الأشعري أيضا في اختلاف أهل القبلة في العرش فقال قال أهل السنة وأصحاب الحديث ان الله ليس بجسم ولا يشبه الاشياء وأنه استوى على العرش كما قال { **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** طه 5 } ولا نتقدم بين يدي الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وان له وجهها كما قال { **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** الرحمن 27 } وان له يدين كما قال { **خَلَقْتُ يَدَيَّ** ص 75 } وأن له عينين كما قال { **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** القمر 14 } وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال { **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** الفجر 22 } وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث ولم يقولوا شيئا الا ما وجدوه في في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله <sup>1</sup>

وأما لفظ العينين فليس هو في القرآن ولكن جاء في حديث وذكر الأشعري عن أهل السنة والحديث أنهم يقولون إن لله عينين ولكن الذي جاء في القرآن { **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِمَنْ كَانَ كُفِرَ** القمر 14 } <sup>2</sup>

### صيغة المفرد و الجمع تقتضى التعظيم الذى يستحقه

قال تعالى { **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِمَنْ كَانَ كُفِرَ** {14} **وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ** {15} القمر 14-15

وهنا أضاف الأيدى الى صيغة الجمع في قوله { **أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ** } يس 71 وهذا فى الجمع نظير قوله { **بِيَدِهِ الْمُلْكُ** الملك 1 } { **بِيَدِكَ الْخَيْرُ** آل عمران 26 } فى المفرد فالله سبحانه وتعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهرا أو مضمرا وتارة بصيغة الجمع كقوله { **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** الفتح 1 } وأمثال ذلك ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط لأن صيغة المفرد و الجمع تقتضى التعظيم الذى يستحقه وربما تدل على معانى أسمائه وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور وهو مقدس عن ذلك <sup>3</sup>

### سوء عاقبة الكفار فى الدنيا هو من باب الآيات

قال تعالى { **فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** } {35} **فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ** } {36} **وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ** } {37} الذاريات 35-37 و قال فى سفينة نوح { **وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ** } القمر 15 فأخبر أنه أبقي آيات و هي العلامات و الدلالات فدل ذلك على أن ما يخصه من أخبار المؤمنين و حسن عاقبتهم فى الدنيا و أخبار الكفار و

<sup>11</sup>مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 90-93

<sup>22</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 413

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 45-46

سوء عاقبتهم في الدنيا هو من باب الآيات و الدلالات التي يستدل بها و يعتبر بها علما و وعظا فيفيد معرفة صحة ما أخبرت به الرسل و يفيد الترغيب و الترهيب و يدل ذلك على أن الله يرضي عن أهل طاعته و يكرمهم و يغضب على أهل معصيته و يعاقبهم كما يستدل بمخلوقاته العامة على قدرته فإن الفعل يستلزم قدرة الفاعل و يستدل بأحكام الأفعال على علمه لأن الفعل المحكم يستلزم علم الفاعل و بالتخصيص على مشيئته لأن التخصيص مستلزم لإرادته فكذلك يستدل بالتخصيص بما هو أحمد عاقبة على حكمته لأن تخصيص الفعل بما هو محمود في العاقبة مستلزم للحكمة و يستدل بتخصيص الأنبياء و إتباعهم بالنصر و حسن العاقبة و تخصيص مكذبيهم بالخزي و سوء العاقبة على أنه يأمر و يحب و يرضي ما جاءت به الأنبياء و يكره و يسخط ما كان عليه مكذبوهم لأن تخصيص أحد النوعين بالإكرام و النجاة و الذكر الحسن و الدعاء و تخصيص الآخر بالعذاب و الهلاك و قبح الذكر و اللعنة يستلزم محبة ما فعله الصنف الأول و بغض ما فعله الصنف الثاني<sup>1</sup>

### الرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدوق المبين للناس

قال تعالى { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَنْ كَانَ كُفْرًا } {14} { وَلَقَدْ تَرَكْنَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } {15} { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ } {16} { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } {17} { كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ } {18} { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ } {19} { تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ } {20} { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ } {21} { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } {22} { القمر 14-22\_ أي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي وإنذاري بذلك قبل مجيئه يبين صدق قوله الذي أخبرت به الرسل وعقوبته لمن كذبهم<sup>2</sup>

فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدوق المبين للناس ما نزل اليهم المبلغ لرسالة ربه المخاطب لهم بلسان عربي مبين قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } { إبراهيم 4} وقال تعالى { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } { الزخرف 3} وقال تعالى { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } { القمر 17} وقال تعالى { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا } { مريم 97<sup>3</sup>

### لطائف لغوية

1- قال تعالى { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ } { القمر 9} ولفظ العبد في القرآن يتناول من عبد الله فأما عبد لا يعبد فلا يطلق عليه لفظ عبده ونحو هذا كثير وقد يطلق لفظ العبد على المخلوقات كلها<sup>4</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 121

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 448

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 264

<sup>4</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 43

2- قال تعالى { وَحَمَلْنَا عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسْرٍ ۗ الْقَمَرِ 13 } لفظ الذات في الأصل تأنيث ذو كقوله { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسْرٍ ۗ الْقَمَرِ 13 } وهي تستلزم الإضافة<sup>1</sup> وهو يستعمل مضافا يتوصل به إلى الوصف بالأجناس فإذا كان الموصوف مذكرا قيل ذو كذا وإن كان مؤنثا قيل ذات كذا كما يقال ذات سوار<sup>2</sup>

---

<sup>11</sup>الصفدية ج: 1 ص: 109

<sup>22</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 334



## القمر 23-32

{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ {23} فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ  
وَسَعْرٍ {24} أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ {25} سَيَعْلَمُونَ غَدًا  
مِّنَ الكَذَّابِ الأَشْرِ {26} إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ {27}  
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ المَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ {28} فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى  
فَعَقَرَ {29} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي {30} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا  
كَهَشِيمِ المُحْتَضِرِ {31} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ {32}

### كذبت ثمود بجنس الرسل

قال تعالى { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ {23} فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٍ {24} أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ {25} سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الكَذَّابِ الأَشْرِ {26} إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ {27} وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ المَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ {28} فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ {29} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي {30} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَضِرِ {31} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ {32} والاقيسة التي يستعملها الفلاسفة في علومهم ويجعلونها كلية كلها يعتضدون فيها بالامثلة وليس مع القوم إلا ما علموه من صفات الامور المشاهدة ثم قاسوا الغائب على المشاهد به بالجامع المشترك الذي يجعلونه كليا فان لم يكن هذا صحيحا لم يكن مع أحد من أهل الارض علم كلى يشترك فيه ما شاهده وما غاب عنه حتى قوله الخبز يشبع والماء يروي ونحو ذلك فانه لم يعلم بحسه إلا امورا معينة فمن أين له أن الغائب بمنزلة المشاهد إلا بهذه الطريق والانسان قد ينكر امرا حتى يرى واحدا من جنسه فيقر بالنوع ويستفيد بذلك حكما كليا ولهذا يقول سبحانه كذبت قوم نوع المرسلين { كَذَّبَتْ عَادُ المُرْسَلِينَ { الشعراء 123 } كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ { الشعراء 141 } كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ المُرْسَلِينَ { الشعراء 160 } ونحو ذلك وكل من هؤلاء إنما جاءه رسول واحد لكن كانوا مكذبين بجنس الرسل لم يكن تكذيبهم بالواحد لخصوصه وهذا بخلاف تكذيب اليهود والنصارى لمحمد صلى الله عليه وسلم فانهم لم يكذبوا جنس الرسل إنما كذبوا واحدا بعينه بخلاف مشركي العرب الذين لم يعرفوا الرسل فان الله يحتج عليهم في القرآن بآيات جنس الرسالة ولهذا يجيب سبحانه عن شبه منكري جنس الرسالة كقولهم { أبعث الله بشرا رسولا { الإسراء 94 } فيقول { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ { النحل 43 } أي هذا متواتر عند أهل الكتاب فاسألوهم عن الرسل الذين جاءتهم أكانوا بشرا أم لا وكذلك قوله { وَقَالُوا لَوْلَا أَنزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّفُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ {8} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ {9} الانعام 8-9 فانهم لا يستطيعون الاخذ عن الملك في صورته فلو أرسلنا اليهم ملكا لجعلناه رجلا في صورة الانسان وحينئذ كان يلتبس عليهم الامر ويقولون هو رجل والرجل لا يكون رسولا وكذلك الرسل قبله قال تعالى { أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ { الأعراف 63 } أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَن أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَن أَنْذِرِ النَّاسَ { يونس 2 } وكما قال تعالى { قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّن الرُّسُلِ { الأحقاف 9 } ونحو ذلك فكان علمهم بثبوت معين من هذا النوع

يوجب العلم بقضية مطلقة وهو ان هذا النوع موجود بخلاف ما إذا اثبت ذلك ابتداء بلا وجود نظير فانه يكون اصعب وإن كان ممكنا فان نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل الارض ولم يكن قبله رسول بعث الى الكفار المشركين يدعوهم الى الانتقال عن الشرك الى التوحيد وادم والذين كانوا بعده كان الناس في زمههم مسلمين كما قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشر قرون كلهم على الاسلام لكن لما بعث الله نوحا وانجى من آمن به وأهلك من كذبه صار هذا المعين يثبت هذا النوع أقوى مما كان يثبت ابتداء<sup>1</sup>

## من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل بشرا

قال تعالى { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ {23} فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاجِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ {24} أَلْقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشِرٌّ {25} سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الكَذَابِ الأَشِيرِ {26} إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ {27} وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ المَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ {28} فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ {29} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ {30} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاجِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَضِرِ {31} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ {32} القمر 23-32 } فإن من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلا ملكا أو بشرا معه ملك ويتعجبون من إرسال بشر ليس معه ملك ظاهر<sup>2</sup>

## لفظ الضلال اذا اطلق

قال تعالى { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ {23} فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاجِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ {24} أَلْقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشِرٌّ {25} سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الكَذَابِ الأَشِيرِ {26} إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ {27} وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ المَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ {28} فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ {29} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ {30} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاجِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَضِرِ {31} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ {32} القمر 23-32 } عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا اطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله { إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آباءَهُمْ ضَالِّينَ {69} فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ {70} } وَلَقَدْ ضَلَّ قَلْبُهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ {71} الصافات 69-71 } وقوله { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا {68} الأحزاب 67-68 } وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } طه 123 } ثم يقرن بالغي والغضب كما في قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 } وفي قوله { غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 } وقوله { إِنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ } القمر 47<sup>3</sup>

<sup>11</sup>الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 369-371

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 2 ص: 361

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

## معجزات الأنبياء خارجة عن القوانين الطبيعية

قال تعالى { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ {23} فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا تَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ {24} أَلْقَى الذُّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلٌ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ {25} سَيَعْلَمُونَ عَدَاءَ مَنَ الكَذَابِ الأَشْرُ {26} إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ {27} وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ المَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ {28} فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ {29} فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ {30} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَضِرِ {31} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ {32} القمر 23-32 } ومعلوم أن معجزات الأنبياء خارجة عن القوانين الطبيعية مثال ذلك إخراج صالح الناقة من هضبة من الهضاب فإن هذا خارج عن قوى النفس والطبيعية لأن الهضبة لا يمكن أن تخرج ناقة حية تاكل وتشرب منها منها ولا يمكن في القوى الطبيعية أن تخرجها لا بقوى نفس ولا بسحر ولا غير ذلك بل الساحر غايته أن يتصرف في الأعراض بفعل ما يحدث عنه الأمراض والقتل ونحو ذلك مما يقدر عليه سائر الأدميين فإن الإنسان يمكنه أن يضرب غيره حتى يمرضه أو يقتله فالساحر والعائن وغيرهما ممن يتصرف بقوى الأنفس يفعل في المنفصل ما يفعله القادر في المتصل فهذا من أفعال العباد المعروفة المقدرة وأما قلب الأعيان إلى ما ليس في طبعها الانقلاب إليه فإخراج صالح الناقة من هضبة من الهضاب فليس هذا من جنس مقدور البشر لا معتادا ولا نادرا ولا يحصل بقوى نفس أصلا وهذه الحادثة الخارقة للعادة فيها إثبات الصانع وإثبات نبوة أنبيائه فإن حدوث هذا الحادث على هذا الوجه في مثل ذلك المقام يوجب علما ضروريا أنه من القادر المختار لتصديق صالح عليه السلام<sup>1</sup>

## { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ }

قال تعالى { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ { القمر 30 } أي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي وإنذاري بذلك قبل مجيئه يبين صدق قوله الذي أخبرته به الرسل وعقوبته لمن كذبهم<sup>2</sup>

## { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ }

فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدق المبين للناس ما نزل اليهم المبلغ لرسالة ربه المخاطب لهم بلسان عربي مبين قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } إبراهيم 4 وقال تعالى { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } الزخرف 3 وقال تعالى { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا

<sup>11</sup>الصفدية ج: 1 ص: 138

<sup>22</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 448

الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ { القمر 32 وقال تعالى {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا بِهِ لِسَانَكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا { مريم 97<sup>1</sup>

## لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ { القمر 28 قسمة الشيء إلى أبعاضه وأجزائه<sup>2</sup>

تقسيم الكل الى أجزائه هو التقسيم المعروف اولا في العقول واللغات كما إذا قلت هذه الارض مقسومة لفلان هذا الجانب ولفلان هذا الجانب كما قال تعالى { وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ { القمر 28<sup>3</sup>

القسمة قسمتان قسمة الكلي إلى أنواعه وقسمة الكل إلى أجزائه والمراد بلفظ القسمة عند الجمهور هو الثاني وبذلك جاء القرآن في مثل قوله { وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ { القمر 28 ومنه باب القسمة التي يذكرها الفقهاء كقسمة المواريث والغنائم والفيء من عقار ومنقول بين المشتركين فيه فيحصل لكل واحد جزء من المقسوم موجود في الخارج غير الجزء الحاصل للشريك الآخر وقد قال جابر قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة فيما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة<sup>4</sup>

---

<sup>11</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 264

<sup>22</sup>منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 206

<sup>33</sup>الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 127

<sup>44</sup>الصفدية ج: 2 ص: 275

## القمر 33-42

{ كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذْرِ {33} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ {34} نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ {35} وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ {36} وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ {37} وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ {38} فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ {39} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ {40} وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ {41} كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ {42}

## لم يؤمنوا بأصل الرسالة

قال تعالى { كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذْرِ } القمر 33 فان الكفر عدم الايمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسدا أو كبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة وإن كان الكافر المكذب أعظم كفرا وكذلك الجاحد المكذب حسدا مع استيقان صدق الرسل والسور المكية كلها خطاب مع هؤلاء ولهذا يقول سبحانه { كَذَّبَتْ قَوْمٌ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ } الشعراء 105 لأنهم كذبوا جميع الرسل ولم يؤمنوا بأصل الرسالة<sup>1</sup>

## لفظ آل فلان في الكتاب والسنة

قال تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ } القمر 34 وقال تعالى { وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ } 41 آل فلان إذا أطلق في الكتاب والسنة دخل فيه فلان كما في قوله { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } آل عمران 33 وقوله { إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ } القمر 34 وقوله { أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } غافر 46 وقوله { سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } الصافات 130 ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وكذلك لفظ أهل البيت كقوله تعالى { رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ } هود 73 فإن إبراهيم داخل فيهم وكذلك قوله من سره ان يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل الله صل على محمد النبي الحديث وسبب ذلك أن لفظ آل أصله أول تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فقليل آل ومثله باب وناب وفي الأفعال قال وعاد ونحو ذلك ومن قال أصله أهل فقلبت الهاء الفا فقد غلط فإنه قال مالا دليل عليه وإدعى القلب الشاذ بغير حجة مع مخالفته للأصل وأيضا فإن لفظ أهل يضيفونه إلى الجماد وإلى غير المعظم كما يقولون أهل البيت وأهل المدينة وأهل الفقير وأهل المسكين وإما آل فإنما يضاف إلى معظم من شأنه أن يؤول غيره أو يسوسه فيكون مآله إليه ومنه الإيالة وهي السياسة فال شخص هم من يؤوله ويؤول إليه ويرجع إليه ونفسه هي أول وأولى من يسوسه ويؤول إليه فهذا كان لفظ آل فلان متناولا له ولا يقال هو مختص به بل

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 334-335

يتناولونه ويتناول من يؤوله فهذا جاء في أكثر الألفاظ كما صليت على آل إبراهيم وكما باركت على آل إبراهيم وجاء في بعضها إبراهيم نفسه لأنه هو الأصل في الصلاة والزكاة وسائر أهل بيته إنما يحصل لهم ذلك تبعاً وجاء في بعضها ذكر هذا وهذا تنبيهاً على هذين<sup>1</sup>

## الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب

الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب فلو قال قائل إن الله أخرج آدم من الجنة بلا ذنب وأنه قدر ذلك أو قال إنه غفر لآدم بلا توبة وأنه علم ذلك كان هذا كذباً وبهتاناً بخلاف ما إذا قال {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} البقرة 37 {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} طه 121 فإنه يكون صادقاً في ذلك والله سبحانه علم ما يكون من آدم قبل أن يكون وهو عالم به بعد أن كان وكذلك كل ما أخبر به من قصص الأنبياء فإنه علم أنه أهلك نوح و عاد و ثمود وفرعون ولوط ومدين وغيرهم بذنوبهم وأنه نجى الأنبياء ومن إتبعهم بإيمانهم وتقواهم كما قال {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} الأعراف 165 و قال {فَكَرَّهَا لِيَدْنِي فَرَأَيْتُهَا كُنُوزًا مَكْنُونًا وَمِنْهُمْ مَن مِّنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} العنكبوت 40 و قال {إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسِحْرِ} 34 {نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ} 35 {القمر} 34<sup>2</sup>

## لفظ الذوق مستعمل في ادراك الملائم والمنافر

قال تعالى {وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ} 36 {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي} 37 {وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ} 38 {فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي} 39 {القمر} 36-39

ولفظ الذوق وان كان قد يظن انه في الاصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على انه اعم من ذلك مستعمل في الاحساس بالملائم والمنافر كما ان لفظ الاحساس في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن واما في اللغة فأصلة الرؤية كما قال {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ} مريم 98 و المقصود لفظ الذوق قال تعالى {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ} النحل 112 فجعل الخوف والجوع مذوقاً واذاف اليهما اللباس ليشعر انه لبس الجائع والخائف فشملة واحاط به احاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الالم لا لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواضع وقال تعالى {إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ} الصافات 38 وقال تعالى {ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} الدخان 49 وقال تعالى {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} القمر 48 وقال {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ} الدخان 56 وقال تعالى {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} 24}

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 463 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 197

<sup>22</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 278

إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا {25} النبأ 24-25 وقال {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} السجدة 21 وقد قال النبي ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد نبيا فاستعمال لفظ الذوق في ادراك الملائم والمنافر كثير<sup>1</sup>

قال تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } النحل 112 فان من الناس من يقول الذوق حقيقة فى الذوق بالفم واللباس بما يلبس على البدن وانما استعير هذا وهذا وليس كذلك بل قال الخليل الذوق فى لغة العرب هو وجود طعم الشئ والاستعمال يدل على ذلك قال تعالى {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} السجدة 21 وقال {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} فصلت 50 وقال {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} الدخان 49 وقال {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا} الطلاق 9 وقال {فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ} القمر 37 وقال النبي ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد رسولا وفى بعض الادعية أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل فى كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته فدعوى المدعى اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم واذا كان الذوق مستعملا فيما يحسه الانسان بباطنه أو بظاهره حتى الماء الحميم يقال ذاقه فالشراب اذا كان باردا أو حارا يقال ذقت حره وبرده ولفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على الاحساس بالمؤلم واذا أضيف الى الملذذ على الاحساس به كقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد نبيا فان قيل فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق قيل لأن الذوق يدل على جنس الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وان لم يأكله وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمل لفظ الذوق فى النفى كما قال عن أهل النار {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} النبأ 24 أى لا يحصل لهم من ذلك ولا ذوق وقال عن أهل الجنة {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ} الدخان 56<sup>2</sup>

### الملائكة تتصور بصورة البشر

قال تعالى { وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ } {36} {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنِ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ} {37} القمر 36-37 فقد تواتر فى الكتب الالهية والاحاديث النبوية ان الملائكة تتصور بصورة البشر وكذلك الجن ويرون فى تلك الصورة كما أخبر الله عن ضيف ابراهيم فى غير موضع من كتابه وكما اخبر عن مريم انه ارسل اليها الروح وهو جبريل {فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} {17} {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} {18} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} {19} مريم 17-19<sup>3</sup>

### وصف أهل الفواحش بطمس الأبصار

<sup>11</sup> مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 334 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 109-111

<sup>33</sup> الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 470

قال تعالى { **وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ** {36} **وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنِ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي** {37} القمر 36-37 أهل الفواحش الذين لا يعضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم فقد وصفهم الله من السكره والعمه والجهالة وعدم العقل وعدم الرشد والبغض وطمس الأبصار هذا مع ما وصفهم به من الخبث والفسوق والعدوان والإسراف والسوء والفحش والفساد والإجرام فقال عن قوم لوط { **أَبَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** } النمل 55 فوصفهم بالجهل وقال { **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** } الحجر 72 وقال { **أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ** } هود 78 وقال { **فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ** } القمر 37 وقال { **بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** } الأعراف 81 وقال { **فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ** } الأعراف 84 وقال { **إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسْقِينَ** } الأنبياء 74 وقال { **أَأَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ** } العنكبوت 29 إلى قوله { **قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ** } العنكبوت 30 إلى قوله { **بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** } العنكبوت 34 وقوله { **مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ** } الذاريات 34<sup>1</sup>

### { **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ** }

فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدوق المبين للناس ما نزل اليهم المبلغ لرسالة ربه المخاطب لهم بلسان عربي مبين قال تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** } إبراهيم 4 وقال تعالى { **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** } الزخرف 3 وقال تعالى { **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ** } القمر 40 وقال تعالى { **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا** } مريم 97<sup>2</sup>

### لطائف لغوية

1- قال تعالى { **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ** } القمر 34 وقال تعالى وقال تعالى { **وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ** } 41 أن لفظ آل فلان في الكتاب والسنة يدخل فيها ذلك الشخص مثل قوله { **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ** } القمر 34 ومعلوم أن لوطا داخل في آل لوط في هذه المواضع ومعلوم ان فرعون داخل في آل فرعون المكذبين المأخوذيين ومنه قول النبي قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وكذلك قوله كما باركت على آل ابراهيم فإبراهيم داخل في ذلك وكذلك قوله للحسن ان الصدقة لا تحل لآل محمد وفي الصحيح عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان القوم إذا أتوا رسول الله بصدقة يصلون عليهم فاتا أبي بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى وأبو أوفى هو صاحب الصدقة<sup>3</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 400

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 264

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 281



2- قال تعالى { وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنِ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ {37} وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ {38} فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ {39} القمر 37-39 } وعذابه اسم جامع لكل شر ودار العذاب الخالص هي النار<sup>1</sup>

3- قال تعالى { وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ {القمر 41} وفرعون اسم لمن يملك مصر من القبط وهو اسم جنس كقيصر وكسري والنجاشي ونحو ذلك<sup>2</sup>

4- قال تعالى { كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَحَدًا عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ {القمر 42} عزيز مقتدر منزه عن العجز والضعف والذل واللغوب حكيم منزه عن السفه<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

<sup>2</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 46

<sup>3</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

## القمر 43-46

{ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ {43} أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ {44} سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّفُونَ الدُّبْرَ {45} بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ {46}

### الله سبحانه يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة

وهو سبحانه كما ينكر التسوية بين المختلفات فهو يسوي بين المتماثلات كقوله سبحانه وتعالى { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ

أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ { القمر 43 }<sup>1</sup>

فالشارع حكيم لا يفرق بين متماثلين إلا لإختصاص أحدهما بما يوجب الإختصاص و لا يسوى بين مختلفين غير متساويين بل قد أنكر سبحانه على من نسبه إلى ذلك و قبح من يحكم بذلك فقال تعالى { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ { القمر 43 }<sup>2</sup>

وقال تعالى { وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ {النور 34} وهو ما ذكره من أحوال الامم الماضية التي يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلية كما قال { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ {يوسف 111} فمن كان من أهل الايمان قيس بهم وعلم أن الله يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل الكفر قيس بهم وعلم أن الله يشقيه في الدنيا والآخرة كما قال في حق هؤلاء { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ { القمر 43} وقد قال { قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ { آل عمران 137} وقال في حق المؤمنين { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ {النور 55} ان الله أخبر أن سنته لن تبدل ولن تتحول وسنته عادته التي يسوى فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي وهذا يقتضى أنه سبحانه يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة ولهذا قال { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمْ { القمر 43} وقال { احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاهُمْ {الصافات 22} أى أشباههم ونظراءهم<sup>3</sup>

### التسوية بين المتماثلين من العدل والحكم الحسن

قال تعالى { وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ {41} كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ {42} أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ {43} { القمر 41-43} وقد قال سبحانه وتعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ { الأنبياء 26} فالإتخاذ فعل من الأفعال وقد نزه سبحانه

<sup>1</sup> منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 89

<sup>22</sup> مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 127

<sup>33</sup> مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 17

نفسه عنه فعلم أن من الأفعال ما نزه سبحانه نفسه عنه والجبرية عندهم لا ينزه عن فعل من الأفعال وفي حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وصححه وغيره ورواه الحاكم في صحيحه قال فيه فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقال لا ظلم عليك إن لك عندنا بطاقة فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فتقلت البطاقة وطاشت السجلات فقوله لا ظلم عليك دليل على أنه إن لم يجاز بتلك الحسنات وتوزن حسناته مع سيئاته كان ذلك ظلما يقدر الله عنه فإنه القائم بالقسط وقد قال تعالى { وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } الكهف 49 فهل يقال هذا النفي أنه لا يفعل مع أحد ما لا يمكن ولا يقدر عليه أو لا يظلمهم شيئا من حسناتهم بل يحصيها كلها ويثيبهم عليها فدل على أن العبد يثاب على حسناته ولا ينقص شيئا منها ولا يعاقب إلا على سيئاته وأن عقوبته بغير ذنب ونقص حسناته ظلم ينزهه الرب تبارك وتعالى عنه وأيضا فقوله تعالى { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } القلم 35 وقال تعالى { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } ص 28 وقال { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21 إلى غير ذلك فدل على أن التسوية بين هذين المختلفين من الحكم السيء الذي ينزه عنه وأن ذلك منكر لا يجوز نسبته إلى الله تعالى وأن من جوز ذلك فقد جوز منكرة لا يصلح أن يضاف إلى الله تعالى فإن قوله { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } القلم 35 استفهام إنكار فعلم أن جعل هؤلاء مثل هؤلاء منكر لا يجوز أن يظن بالله أنه يفعله فلو كان هذا وضده بالنسبة إليه سواء جاز أن يفعل هذا وهذا وقوله { سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21 دل على أن هذا حكم سيء والحكم السيء هو الظلم الذي لا يجوز فعلم أن الله تعالى منزه عن هذا ومن قاله إنه يسوي بين المختلفين فقد نسب إليه الحكم السيء وكذلك تفضيل أحد المتماثلين بل التسوية بين المتماثلين والتفضيل بين المختلفين هو من العدل والحكم الحسن الذي يوصف به الرب سبحانه وتعالى والظلم وضع الشيء في غير موضعه فإذا جعل النور كالظلمة والمحسن كالمسيء والمسلم كالمجرم كان هذا ظلما وحكما سيئا يقدر وينزه عنه سبحانه وتعالى وقال تعالى { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِفُونَ } المائدة 50 وعند هؤلاء لو حكم بحكم الجاهلية لكان حسنا وليس في نفس الأمر حكم حسن وحكم غير حسن بل الجميع سواء فكيف يقال مع هذا ومن أحسن من الله حكما فدل هذا النص على أن حكمه حسن لا أحسن منه والحكم الذي يخالفه سيء ليس بحسن وذلك دليل على أن الحسن صفة لحكمه فلو لم يكن الحسن إلا ما تعلق به الأمر أو مالم ينفه عنه لم يكن في الكلام فائدة ولم يقسم الحكم إلى حسن وأحسن لأن عندهم يجوز أن يحكم الرب بكل ما يمكن وجوده وذلك كله حسن فليس عندهم حكم ينزهه الرب عنه وقال تعالى { وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } الأنعام 124 فدل على أنه أعلم بالمحل الذي يناسب الرسالة ولو كان الناس مستوين والتخصيص بلا سبب لم يكن لهذا العلم معلوم يختص به محل الرسالة وقال تعالى { وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ {41} كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ {42} أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلَانِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزَّبْرِ {43} القمر 41-43 } وقال { أَمْ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ } الدخان 37 فهذا يبين أن أولئك إذا كانوا كفارا وقد عذبناهم والكفار الذين كذبوا محمد ليسوا خيرا من أولئك بل هم مثلهم استحقوا من العقوبة ما استحقه أولئك ولو كانوا خيرا منهم لم يستحقوا ذلك فعلم انه سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفضل صاحب الخير فلا يسوي بينه وبين من هو دونه وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ

وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ { الحشر 2 إلى قوله تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ { الحشر 4 والإعتبار أن يعبر منهم إلى أمثالهم فيعرف أن من فعل كما فعلوا استحق كما استحقوا ولو كان تعالى قد يسوي بين المتماثلين وقد لا يسوي لم يمكن الإعتبار حتى يعلم أن هذا المعين مما يسوي بينه وبين نظيره وحينئذ فلا يمكن الإعتبار إلا بعد معرفة حكم ذلك المعين وحينئذ فلا يحتاج إلى الإعتبار ومن العجب أن أكثر أهل الكلام احتجوا بهذه الآية على القياس وإنما تدل عليه لكون الإعتبار يتضمن التسوية بين المتماثلين فعلم أن الرب يفعل هذا في حكمه فإذا اعتبروا بها في أمره الشرعي لدلالة مطلق الإعتبار على ذلك فهلا استدلوا بها على حكمه الخلق الكوني في الثواب والعقاب وهو الذي قصد بالآية فدلالته عليه أولى فعلم أن المتماثلين في الذنب متماثلان في استحقاق العقاب بخلاف من لم يشركهما في ذلك وإذا قيل هذا قد علم بخبره قيل هو لم يخبر قبل بهذا بل دل على أن هذا هو حكمه الذي لا يجوز أن يضاف إليه سواء كما دل على ذلك ما تقدم من الآيات وأيضا فالنصوص قد أخبرت بالميزان بالقسط وأن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدهن أجرها عظيما فدل هذا على أن مثقال ذرة إذا زيد في السيئات أو نقص من الحسنات كان ظلما ينزه الله عنه ودل على أنه يزن الأعمال بالقسط الذي هو العدل فدل على أن خلاف ذلك ليس قسطا بل ظلم تنزه الله عنه ولو لم يكن هنا عدل لم يحتج إلى الموازنة فإنه إذا كان التعذيب والتنعيم بلا قانون عدلي بل بمحض المشيئة لم يحتج إلى الموازنة وقال تعالى { تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ { آل عمران 108 قال الزجاج وغيره قد أعلمنا أنه يعذب من عذبه لاستحقاقه وقال آخر معناه أنه لا يعاقبهم بلا جرم فسمى هذا ظلما<sup>1</sup>

### الإعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره

قال تعالى { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلَانِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ { القمر 43 فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول بل هو سبحانه لا يفوت بين المتماثلين وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل وهذا القول أشبه بأصول الجمهور القائلين بالحكمة في الخلق والأمر وأنه سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين كما دل القرآن على هذا في مواضع كقوله تعالى أفجعل المسلمين كالمجرمين سورة القلم 35 ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الإعتبار بها والإعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة<sup>2</sup>

### الرسل صلوات الله عليهم بينت الميزان العقلي

ان الرسل ضربت للناس الامثال العقليه التي يعرفون بها التماثل والاختلاف فان الرسل دلت الناس وارشدتهم الى ما به يعرفون العدل ويعرفون الاقيسة العقلية الصحيحة التي يستدل بها على المطالب الدينية فليست العلوم النبوية مقصورة على مجرد الخبر كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام ويجعلون ما يعلم بالعقل قسيما للعلوم النبوية بل الرسل صلوات الله عليهم بينت العلوم العقلية التي بها يتم دين الله علما وعملا وضربت الأمثال فكملت الفطرة بما نبتها عليه وارشدها لما كانت الفطرة

<sup>11</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 110-105

<sup>2</sup> رسالة في لفظ السنة في القرآن ج: 1 ص: 56

معرضة عنه أو كانت الفطرة قد فسدت بما يحصل لها من الآراء والاهواء الفاسدة فأزالت ذلك الفساد والقرآن والحديث مملوءان من هذا يبين الله الحقائق بالمقاييس العقلية والامثال المضروبة ويبين طريق التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين وينكر على من يخرج عن ذلك كقوله {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} الجاثية 21 الآية وقوله {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} 35 {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} 36 {القلم 35-36} اي هذا حكم جائر لا عادل فان فيه تسوية بين المختلفين ومن التسوية بين المتماثلين **قوله {أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمْ} القمر 43** وقوله {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ} البقرة 214 الآية و المقصود التنبيه على ان الميزان العقلي حق كما ذكر الله في كتابه<sup>1</sup>

### سنة الله في المؤمنين والكافرين

وهو يعلم أن قلوب هؤلاء كقلوب أولئك الأولين فيكذبون بها فيستحقون بها ما استحقه أولئك كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم قال تعالى { قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَثَلُ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ } البقرة 118 وقال تعالى عن أهل الكتاب {يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} التوبة 30 وقال تعالى { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ } 43 { أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ } 44 { سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ } 45 { بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ } 46 { القمر 43-46 } ذكر هذا في سورة اقتربت التي ذكر فيها انشقاق القمر وإعراضهم عن الآيات وقولهم هذا سحر مستمر وتكذيبهم واتباعهم أهوائهم فقال تعالى ( اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } 1 { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ } 2 { وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ } 3 { القمر 1-3 } ثم قال ( وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } القمر 4 أي من أنباء الغيب وما أخبر به ما فيه مزدجر أي ما يزرهم عن الكفر إذ كان في تلك الإنباءات بيان صدق الرسول والإنذار لمن كذبه بالعذاب كما عذب المتقدمون ولهذا يقول عقيب القصة { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ } القمر 16 أي كيف كان عذابي لمن كذب رسلي وإنذاري بذلك قبل مجيئه يبين صدق قوله الذي أخبرت به الرسل وعقوبته لمن كذبهم ثم ذكر قصة المكذبين كنوح وهود وصالح ولوط إلى **قوله { وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ } 41 { كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ } القمر 41-42** فإن قوم فرعون كذبوا بجميع آيات موسى وجميع آيات الأنبياء قبله وكذبوا بالآيات الدالة على وجود الرب وقدرته ومشيبته إذ كانوا جاحدين للخالق منكرين له فكذبوا بآياته كلها ثم قال أكفاركم أيتها الأمة التي أرسل محمد إليها { خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمْ } 43 { القمر 43 } الذين كذبوا نوحا وهودا وصالحا ولوطا وموسى { أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ } 43 { أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ } 44 { القمر 43-44 } وذلك أن كونكم لا تعذبون مثل ما عذبوا إذا كذبتهم إما أن يكون لكونكم خيرا منهم فلا تستحقون مثل ما استحقوا أو لكون الله أخبر أنه لا يعذبكم فتكون لكم براءة في الزبر فتعلمون ذلك بخبره فإن ما يفعله الله تارة يعلم بخبره وتارة يعلم بسنته وحكمته وعدله فإما أن تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه أو من هذا الوجه هذا إن نظر إلى ما فعل الله الذي لا طاقة للبشر به وإن نظر إلى قوة الرسول واتباعه

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 242-243 والرد على المنطقيين ج: 1 ص: 382-383

فيقولون { نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ } {44} القمر 44 فإنهم أكثر وأقوى كما قال تعالى { وَإِذَا تَنُتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا } {73} { وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًّا } {73} مريم 73-74 أي اموالا ومنظرا فقال تعالى { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ } {45} القمر 45 أخبر بهزيمتهم وهو بمكة في قلة من الأتباع وضعف منهم ولا يظن أحد بالعادة المعروفة أن أمره يظهر ويعلو قبل أن يهاجر إلى المدينة وقبل أن يقاتلهم وكان كما أخبر فإنهم يوم بدر وغيرها هزم جمعهم وولوا الأدبار وتلك سنة الله في المؤمنين والكافرين قال تعالى { وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } {22} { سَنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } {23} { الفتح 22- 23 } وحيث ظهر الكفار فإنما ذاك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم نصرهم الله كما قال تعالى { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } آل عمران 139 وقال { أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } آل عمران 165 فإذا كان من تمام الحكمة والرحمة أن لا يهلكهم هلاك استئصال كما هلك المكذبين وكانت الآيات التي اقترحوها موجبة لعذاب الاستئصال كما أهلكت الأمم قبلهم كما قال { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ } { القمر 43 } كان أن لا يأتي بموجب عذاب الاستئصال مع إتيانه سبحانه بما يقيم الحجة ويوضح المحجة أكمل في الحكمة والرحمة إذ كان ما أتى به من الآيات حصل به كمال الخير والمنفعة والهدى والبيان والحجة على من كفر وما امتنع منه دفع من عذاب الاستئصال والهلاك والعذاب العام ما أوجب بقاء جمهور الأمة حتى يتوبوا ويؤمنوا ويهتدوا وكان في إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة والمنن السابغة ما لم يكن في رسالة رسول غيره صلوات الله عليهم أجمعين<sup>1</sup>

### { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ }

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس عن عمر ابن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم أنتي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى أسقط رداءه عن منكبيه فاتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ } { الأنفال 9 } فأمده الله بالملائكة قال أبو زميل فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشند في أثر رجل من المشركين امامه إذ سمع ضربة سوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزرم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة بالسوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 447

وأُسرُوا سبعين وذكر الحديث وذكر البخاري في هذا الحديث فخرج يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول **{سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ}** القمر 45<sup>1</sup>

## الإخبار بالمستقبلات

قال تعالى **{أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ}** {43} **أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ}** {44} **سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ}** {45} **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ}** {46} القمر 43-46 وفي القرآن من الإخبار بالمستقبلات شيء كثير<sup>2</sup>

فإنه أتاهم بجلية ما في الصحف الأولى كالتوراة والإنجيل مع علمهم بأنه لم يأخذ عن أهل الكتاب شيئاً فإذا أخبرهم بالغيوب التي لا يعلمها إلا نبي أو من أخبره نبي وهم يعلمون أنه لم يعلم ذلك بخبر أحد من الأنبياء تبين لهم أنه نبي وتبين ذلك لسائر الأمم فإنه إذا كان قومه المعادون وغير المعادين له مقرين بأنه لم يجتمع بأحد يعلمه ذلك صار هذا منقولاً بالتواتر وكان مما أقر به مخالفوه مع حرصهم على الطعن لو أمكن فهذه الأخبار بالغيوب المتقدمة قامت بها الحجة على قومه وعلى جميع من بلغه خبر ذلك وقد أخبر بالغيوب المستقبلية وهذه تقوم بها الحجة على من عرف تصديق ذلك الخبر كما قال عن الكفار وهو بمكة **{سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ}** {45} سورة القمر الآية 45 وظهر تصديق ذلك يوم بدر وغيره وبعد ذلك بسنين كثيرة<sup>3</sup>

## لطائف لغوية

1- قال تعالى **{أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ}** القمر 43 زبر يقال زبرت الكتاب إذا كتبتة والزبور بمعنى المزبور أي المكتوب والزبر جمع زبور وهي الكتب فإن منهم من أنزل عليه كتاب ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذي قبله<sup>4</sup>

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 264

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 73

<sup>3</sup>ب الجواب الصحيح ج: 1 ص: 409

<sup>4</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 290

## القمر 47-55

{ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ {47} يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ  
ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ {48} إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ {49} وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ  
بِالْبَصَرِ {50} وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {51} وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي  
الزُّبُرِ {52} وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ {53} إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ {54}  
فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ {55}

## المجرمون هم المخالفون للرسول

والقرآن بين أن السعداء هم الذين اتبعوا الرسول ولا يكون الكامل إلا سعيدا وأن الأشقياء هم  
المخالفون للرسول فإنما يعذب الله في الآخرة من يخالف الرسول وبين أن من اتبع الهدى الذي جاء  
من عنده وهو ما جاءت به الرسول فإنه لا يضل ولا يشقى بل يكون من المهتدين المفلحين ولهذا  
قال في الفاتحة اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا  
الضالين فأهل الغضب والضللال هم أهل الشقاء والضللال وهم الذين قيل فيهم { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي  
ضَلَالٍ وَسُعْرٍ {47} يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ {48} القمر 47-48 وهم  
ضد أهل الهدى والفلاح فأهل الهدى الذي يتضمن العلم والسعادة هم المتبعون للكتاب المنزل فمن آمن  
ببعض الكتاب وكفر ببعض كاليهود والنصارى لم يكن من هؤلاء فكيف بمن لم يؤمن بالكتاب<sup>1</sup>

## لفظ الضلال اذا أطلق

عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن  
الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله { إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ {69} فَهُمْ  
عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ {71} الصافات 69-71 وقوله { وَقَالُوا  
رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنَا  
كَبِيرَا {68} الأحزاب 67-68 وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ طه 123 } ثم يقرن  
بالغى والغضب كما في قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ {النجم 2} وفي قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ {47} يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ  
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ {48} القمر 47-48<sup>2</sup>



## لفظ الذوق يدل على جنس الاحساس

قال تعالى { **يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ** } القمر 48 قال تعالى { فَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } النحل 112 فان من الناس من يقول الذوق حقيقة في الذوق بالفم واللباس بما يلبس على البدن وانما استعير هذا وهذا وليس كذلك بل قال الخليل الذوق في لغة العرب هو وجود طعم الشيء والاستعمال يدل على ذلك قال تعالى { **وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ** } السجدة 21 وقال { **وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ** } فصلت 50 وقال { **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** } الدخان 49 وقال { **فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا** } الطلاق 9 وقال { **فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** } فاطر 37 وقال النبي ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد رسولا وفي بعض الادعية أدقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته فدعوى المدعى اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم واذا كان الذوق مستعملا فيما يحسه الانسان بباطنه أو بظاهره حتى الماء الحميم يقال ذاقه فالشراب اذا كان باردا أو حارا يقال ذقت حره وبرده ولفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على الاحساس بالمؤلم واذا أضيف الى المذذ دل على الاحساس به كقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد نبيا فان قيل فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق قيل لأن الذوق يدل على جنس الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وان لم يأكله وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمل لفظ الذوق في النفي كما قال عن أهل النار { **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا** } النبأ 24 أى لا يحصل لهم من ذلك ولا ذوق وقال عن أهل الجنة { **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ** } الدخان 56<sup>1</sup>

ولفظ الذوق وان كان قد يظن انه في الاصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على انه اعم من ذلك مستعمل في الاحساس بالملائم والمنافر كما ان لفظ الاحساس في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن واما في اللغة فأصله الرؤية كما قال { **هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ** } مريم 98 و المقصود لفظ الذوق قال تعالى { **فَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ** } النحل 112 فجعل الخوف والجوع مذوقا واذاف اليهما اللباس ليشعر انه لبس الجائع والخائف فشمله واحاط به احاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الالم لا لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواضع وقال تعالى { **إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ** } الصافات 38 وقال تعالى { **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** } الدخان 49 وقال تعالى { **ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ** } القمر 48 وقال { **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ** } الدخان 56 وقال تعالى { **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا** } {24} { **إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا** } {25} النبأ 24-25 وقال { **وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ** } السجدة 21 وقد قال النبي ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد نبيا فاستعمال لفظ الذوق في ادراك الملائم والمنافر كثير وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان كما تقدم ذكر الحديث<sup>2</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 109- 111

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 334 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361

## ليس في القرآن لفظ الا مقرون بما يبين به المراد

وكثيرا ما ياتي المدعى الى الفاظ لها معان معروفة فيدعي استعمالها في غير تلك المعانى بلا حجة ويقول هذا مجاز فهذا لا يقبل ومن قسم الكلام الى حقيقة ومجاز متفقون على ان الاصل في الكلام هو الحقيقة وهذا يراد به شيئان يراد به انه اذا عرف معنى اللفظ وقيل هذا الاستعمال مجاز قيل بل الاصل الحقيقة واذا عرف ان اللفظ مدلولان حقيقي ومجازي فالاصل ان يحمل على معناه الحقيقي فيستدل تارة بالمعنى المعروف على دلالة اللفظ عليه وتارة باللفظ المعروف دلالاته على المعنى المدلول عليه فاذا قيل في قوله تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } النحل 112 ان أصل الذوق بالفم قيل ذلك ذوق الطعام فالذوق يكون للطعام ويكون لجنس العذاب كما قال { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلْوَنِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السجدة 21 وقوله { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان 49 وقوله { ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } القمر 48 فقوله { ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } القمر 48 صريح في ذوق مس العذاب لا يحتمل ذوق الطعام ثم الجوع والخوف اذا لبس البدن كان اعظم في الالم بخلاف القليل منه فاذا قال { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } النحل 112 فانه لم يكن يدل على لبسه لصحابه واحاطته به فهذه المعانى تدل عليها هذه الالفاظ دون ما اذا قيل جاءت وخافت فانه يدل على جنس لا على عظم كميته وكميته فهذا من كمال البيان والجميع انما استعمل فيه اللفظ في معناه المعروف في اللغة فان قوله ذوق لباس الجوع والخوف ليس هو ذوق الطعام وذوق الجوع ليس هو ذوق لباس الجوع ولهذا كان تحرير هذا الباب هو علم البيان الذي يعرف به الانسان بعض قدر القرآن وليس في القرآن لفظ الا مقرون بما يبين به المراد ومن غلط في فهم القرآن فمن قصوره أو تقصيره<sup>1</sup>

## علم الله سبحانه وإرادته قائم بنفسه

الواحد من الناس إذا أراد أن يعمل عملا قدر في نفسه ما يريد عمله ثم عمله كما قدر في نفسه وربما أظهر ما قدره في الخارج بصورته ويسمى هذا التقدير الذي في النفس خلقا ومنه قول الشاعر ولأنت تقري ما خلقت وبعض الناس يخلق ثم لا يفري يقول إذا قدرت أمرا أمضيته وانفذته بخلاف غيرك فإنه عاجز عن إمضاء ما يقدره وقال تعالى { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } القمر 49 وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل ما سيكون وهو يخلق بمشيئته فهو يعلمه ويريده وعلمه وإرادته قائم بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كما في قوله { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } هود 119<sup>2</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 474

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 381

## الإيمان بالقدر نظام التوحيد

وبين الأئمة أن من جعل شيئاً من المحدثات كأفعال العباد وغيرهما ليس مخلوقاً لله فهو مثل من أنكر خلق الله لغير ذلك من المحدثات كالسماوات والأرض فإن الله رب العالمين ومالك الملك وخالق كل شيء فليس شيء من العالمين خارجاً عن ربوبيته ولا شيء من الملك خارجاً عن ملكه ولا شيء من المحدثات خارجاً عن خلقه قال تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} {62} له مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ {63} الزمر 62- 63 وقال تعالى {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} القمر 49 ولهذا كان أهل السنة والجماعة والحديث هم المتبعين لكتاب الله المعتمدين لموجب هذه النصوص حيث جعلوا كل محدث من الأعيان والصفات والأفعال المباشرة والمتولدة وكل حركة طبيعة أو إرادية أو قسرية فإن الله خالق كل ذلك جميعه وربيه ومالكة ومليكة ووكيل عليه وانه سبحانه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم فآمنوا بعلمه المحيط وقدرته الكاملة ومشيتته الشاملة وربوبيته التامة ولهذا قال ابن عباس الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وأمن بالقدر تم توحيده ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده وأما صفة الله تعالى فهي داخلة في مسمى أسمائه الظاهرة والمضمرة فإذا قلت عبدت الله ودعوت الله وإياك نعبد فهذا الاسم لا يخرج عنه شيء من صفاته من علمه ورحمته وكلامه وسائر صفاته ولهذا قال النبي من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقد ثبت عنه الحلف بعزة الله والحلف بقوله لعمر الله فعلم أن ذلك ليس حلفاً بغير الله فأعطوا هذه الآيات المنصوصة حقها في اتباع عمومها الذي قد صرحت به في أن الله خالق كل شيء إذ قد علم أن الله ليس هو داخلاً في المخلوق وعلم أن صفاته ليست خارجة عن مسمى اسمه وأما المعتزلة الذين جمعوا التجهم والقدر فأخرجوا عنها ما يتناول الاسم يقينا من أفعال الملائكة والجن والانس والبهائم طاعاتها وغير طاعاتها وذلك قسط كبير من ملك الله وآياته بل هي من محاسن ملكه وأعظم آياته ومخلوقاته وأدخلوا في ذلك كلامه لكونه يسمى شيئاً في مثل قوله {إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ بِمُوسَىٰ} الأنعام 91 ولم ينظروا في أن ذلك مثل تسمية علمه شيئاً في قوله {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ} البقرة 255 وتسمية نفسه شيئاً في قوله {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} الأنعام 19 وأن قوله كل شيء يعم بحسب ما اتصل به من الكلام فإن الاسم تتنوع دلالاته بحسب قيوده ففي قوله {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} البقرة 29 دخل في ذلك نفسه لأنها تصلح أن تعلم وفي قوله {وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} المائدة 120 دخل في ذلك ما يصلح أن يكون مقدوراً وذلك يتناول كل ما كانت ذاته ممكنة الوجود وقد يقال دخل في ذلك كل ما يسمى شيئاً بمعنى شيئاً فإن الشيء في الأصل مصدر وهو بمعنى المشيء فكل ما يصلح أن يشاء فهو عليه قدير وإن شئت قلت قدير على كل ما يصلح أن يقدر عليه والممتنع لذاته ليس شيئاً باتفاق العقلاء وفي قوله {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} الرعد 16 قد علم أن الخالق ليس هو المخلوق وانه لا يتناول الاسم وإنما دخل فيه كل شيء مخلوق وهي الحادثات جميعها هذا مع أن أهل السنة يقولون أن العبد له مشيئة وقدرة وإرادة وهو فاعل لفعله حقيقة وينهون عن إطلاق الجبر فإن لفظ الجبر يشعر أن الله أجبر العبد على خلاف مراد العبد كما تجبر المرأة على النكاح وليس كذلك بل العبد مختار يفعل باختياره ومشيتته ورضاه ومحبهته ليس مجبوراً عديم الإرادة

والله خالق هذا كله فإن هذه الأمور من المحدثات الممكنات فالدلالة على أن الله خالقها كالدلالة على أنه خالق غيرها من المحدثات<sup>1</sup>

## من كذب بالقدر فقد كذب بالحق

فإن العلة الغائية هي أول في العلم والإرادة وهي آخر في الوجود والحصول ولهذا كان الخالق لا بد أن يعلم ما خلق فإنه قد أراده وأراد الغاية التي خلقه لها والإرادة مستلزمة للعلم فيمتنع أن يريد الحي ما لا شعور له به والصانع إذا أراد أن يصنع شيئاً فقد علمه وأراده و قدر في نفسه ما يصنعه والغاية التي ينتهي إليها وما الذي يوصله إلى تلك الغاية والله سبحانه قدر و كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم كما ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض وفي رواية ثم خلق السموات والأرض فقد قدر سبحانه ما يريد أن يخلقه من هذا العالم حين كان عرشه على الماء إلى يوم القيامة كما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله القلم فقال أكتب فقال ما أكتب فقال أكتب ما يكون إلى يوم القيامة وأحاديث تقديره سبحانه و كتابته لما يريد أن يخلقه كثيرة جداً روى ابن أبي حاتم عن الضحاك أنه سئل عن قوله {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} القمر 49 فقال قال ابن عباس إن الله قدر المقادير بقدرته ودبر الأمور بحكمته وعلم ما العباد صائرون إليه وما هو خالق وكائن من خلقه فخلق الله لذلك الجنة ونارا فجعل الجنة لأوليائه وعرفهم وأحبهم وتولاهم وفقهم وعصمهم وترك أهل النار إستحوذ عليهم إبليس وأصلهم وأزلهم فخلق لكل شيء ما يشاكله في خلقه ما يصلحه من رزقه في بر أو في بحر فجعل للبعير خلقا لا يصلح شيء من خلقه على غيره من الدواب وكذلك كل دابة خلق الله لها منها ما يشاكلها في خلقها فخلق مؤتلف لما خلقه له غير مختلف قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا يحيى بن زكريا بن مهران القزاز نا حبان بن عبيدالله قال سألت الضحاك عن هذه الآية {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} القمر 49 قال الضحاك قال ابن عباس فذكره وقال حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا طلحة بن سنان عن عاصم عن الحسن قال من كذب بالقدر فقد كذب بالحق خلق الله خلقا وأجل أجلا و قدر رزقا و قدر مصيبة و قدر بلاء و قدر عافية فمن كفر بالقدر فقد كفر بالقرآن وقال حدثنا الحسن بن عرفة ثنا مروان بن شجاع الجزري عن عبد الملك بن جريح عن عطاء بن أبي رباح قال أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر فقال أو قد فعلوها قلت نعم قال فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} 48 {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} 49 {القدر 48-49} أولئك شرار هذه الأمة فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم إن رأيت أحدا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين وقال أيضا حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا سهل الخياط ثنا أبو صالح الحداني نا حبان بن عبيدالله قال سألت الضحاك

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 329-332

عن قوله {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} الحديد 22 قال ابن عباس إن الله خلق العرش فاستوى عليه ثم خلق القلم فأمره ليجري بإذنه و عظم القلم كقدر ما بين السماء و الأرض فقال القلم بما يارب أجرى فقال بما أنا خالق و كائن في خلقى من قطر أو نبات أو نفس أو أثر يعنى به العمل أو رزق أو أجل فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فأثبتته الله في الكتاب المكنون عنده تحت العرش<sup>1</sup>

## الفرق بين الامر الكونى والامر الدينى

وقد ذكر الله فى كتابه الفرق بين الارادة و الامر و القضاء و الاذن و التحريم و البعث و الارسال و الكلام و الجعل بين الكونى الذى خلقه و قدره وقضاه وان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثبت اصحابه ولا يجعلهم من اوليائه المتقين وبين الدينى الذى امر به وشرعه واثاب عليه و اكرمهم وجعلهم من اوليائه المتقين و حزبه المفلحين و جنده الغالبيين وهذا من اعظم الفروق التى يفرق بها بين اولياء الله و اعدائه فمن استعمله الرب سبحانه و تعالى فيما يحبه ويرضاه ومات على ذلك كان من اوليائه ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك كان من اعدائه ف الارادة الكونية هى مشيئته لما خلقه وجميع المخلوقات داخله فى مشيئته و ارادته الكونية و الارادة الدينية هى المتضمنة لمحبتة و رضاه المتناولة لما امر به وجعله شرعا ودينا وهذه مختصة بالايمان والعمل الصالح واما الامر فقال فى الامر الكونى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 وقال تعالى {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} القمر 50 وقال تعالى {أَتَأْتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ} يونس 24 واما الامر الدينى فقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} النحل 90 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} النساء 58<sup>2</sup>

## الأشياء لها وجود عيني ووجود علمي ولفظي ورسمي

قال تعالى {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} 51 {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ} 52 {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَنْطَرٌ} 53 {القمر 51-53} أن الأشياء لها وجود فى أنفسها وهو وجودها العيني ولها ثبوتها فى العلم ثم فى اللفظ المطابق للعلم ثم فى الخط وهذا الذى يقال وجود فى الأعيان ووجود فى الأذهان ووجود فى اللسان ووجود فى البنان وجود عيني ووجود علمي ولفظي ورسمي ولهذا افتتح الله كتابه بقوله تعالى {أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} 1 {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} 2 {أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} 3 {الذي

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 136-139

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 267

عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {4} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {5} العلق 1-5 فذكر الخلق عموماً وخصوصاً ثم ذكر التعليم عموماً وخصوصاً فالخط يطابق اللفظ واللفظ يطابق العلم والعلم هو المطابق للمعلوم ومن هنا غلط من غلط فظن أن القرآن في المصحف كالأعيان في الورق فظن أن قوله { إِنَّهُ لَفُرْقَانٌ كَرِيمٌ } {77} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ {78} الواقعة 77-78 كقوله { الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ } الأعراف 157 فجعل اثبات القرآن الذي هو كلام الله في المصاحف كاثبات الرسول في المصاحف وهذا غلط إثبات القرآن كاثبات اسم الرسول هذا كلام وهذا كلام وأما إثبات اسم الرسول فهذا كاثبات الأعمال أو كاثبات القرآن في زبر الأولين قال تعالى { **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ** } القمر 52 وقال تعالى { **وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ** } الشعراء 196 فثبوت الأعمال في الزبر وثبوت القرآن في زبر الأولين هو مثل كون الرسول مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ولهذا قيد سبحانه هذا بلفظ الزبر و الكتب زبر يقال زبرت الكتاب إذا كتبتة والزبور بمعنى المزبور أي المكتوب فالقرآن نفسه ليس عند بنى إسرائيل ولكن ذكره كما أن محمداً نفسه ليس عندهم ولكن ذكره فثبوت الرسول في كتبهم كثبوت القرآن في كتبهم بخلاف ثبوت القرآن في اللوح المحفوظ وفي المصاحف فإن نفس القرآن اثبت فيها فمن جعل هذا مثل هذا كان ضلاله بينا وهذا مبسوط في موضعه<sup>1</sup>

### الأعمال في الزبر كالرسول وكالقرآن في زبر الأولين

قال تعالى { **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {51} وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ {52} وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ {53} القمر 51-53** أن القرآن في المصاحف مثل ما أن اسم الله في المصحف فإن القرآن كلام فهو محفوظ بالقلوب كما يحفظ الكلام بالقلوب وهو مذکور بالألسنة كما يذكر الكلام بالألسنة وهو مكتوب في المصاحف والأوراق كما أن الكلام يكتب في المصاحف والأوراق والكلام الذي هو اللفظ يطابق المعنى ويدل عليه والمعنى يطابق الموجودة فمن قال أن القرآن محفوظ كما أن الله معلوم هو متلو كما أن الله مذکور ومكتوب كما أن الرسول مكتوب فقد أخطأ القياس والتمثيل بدرجتين فإنه جعل وجود الموجودات القائمة بأنفسها بمنزلة وجود العبارة الدالة على المعنى المطابق لها والمسلمون يعلمون الفرق بين قوله تعالى { **إِنَّهُ لَفُرْقَانٌ كَرِيمٌ {77} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ {78} الواقعة 77-78** وبين قوله تعالى { **وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ** } الشعراء 196 فإن القرآن لم ينزل على أحد قبل محمد لا لفظه ولا جميع معانيه ولكن أنزل الله ذكره والخبر عنه كما أنزل ذكر محمد والخبر عنه فذكر القرآن في زبر الأولين كما أن ذكر محمد في زبر الأولين وهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل فأنه ورسوله معلوم بالقلوب مذکور بالألسن مكتوب في المصحف كما أن القرآن معلوم لمن قبلنا مذکور لهم مكتوب عندهم وإنما ذاك ذكره والخبر عنه وأما نحن فنفس القرآن أنزل إلينا ونفس القرآن مكتوب في مصاحفنا كما أن نفس القرآن في الكتاب المكنون وهو في الصحف المطهرة ولهذا يجب الفرق بين قوله تعالى { **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ** } القمر 52 وبين قوله تعالى { **وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ {2} فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ {3} الطور 2-3** فإن الأعمال في الزبر كالرسول وكالقرآن في زبر الأولين وأما { **وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ {2} فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ {3} الطور 2-3**

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 290 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 289 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 195-196

فهو كما يكتب الكلام نفسه والصحيفة فأين هذا من هذا قال تعالى **{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبْرِ}** {القمر 52} وفي قوله **{وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ}** {الشعراء 196} فان المراد بذلك ذكره وكتابتته و الزبر جمع زبور والزبور فعول بمعنى مفعول أى مزبور أى مكتوب فلفظ الزبور يدل على الكتابة وهذا مثل ما فى الحديث المعروف عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا وفى رواية متى كتبت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد رواه أحمد فهذا الكون هو كتابته وتقديره<sup>1</sup>

### فى زبر الأولين ذكر القرآن وخبره

قوله تعالى **{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** {192} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {193} {الشعراء 192-193} الى قوله **{وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ}** {196} **{أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ}** {197} {الشعراء 196-197} فالذى فى زبر الأولين ليس هو نفس القرآن المنزل على محمد فان هذا القرآن لم ينزل على احد قبله ولكن فى زبر الأولين ذكر القرآن وخبره كما فيها ذكر محمد وخبره كما أن أفعال العباد فى الزبر كما قال تعالى **{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبْرِ}** {القمر 52} فيجب الفرق بين كون هذه الأشياء فى الزبر وبين كون الكلام نفسه فى الزبر كما قال تعالى **{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ}** {77} **{فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ}** {78} الواقعة 77-78 وقال تعالى **{يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً}** {2} **{فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}** {3} {البينة 2-3}<sup>2</sup>

### الفرق بين كتابة الأسماء والكلام وبين كتابة المسميات والأعيان

فان القرآن كلام والكلام نفسه يكتب فى المصحف بخلاف الأعيان فانه إنما يكتب اسمها وذكرها فالرسول مكتوب فى التوراة والإنجيل ذكره ونعته كما أن القرآن فى زبر الأولين وكما أن أعمالنا فى الزبر قال تعالى **{وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ}** {الشعراء 196} وقال تعالى **{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبْرِ}** {القمر 52} ومحمد مكتوب فى التوراة والإنجيل كما أن القرآن فى تلك الكتب وكما ان أعمالنا فى الكتب وأما القرآن فهو نفسه مكتوب فى المصاحف ليس المكتوب ذكره والخبر عنه كما يكتب اسم الله فى الورق ومن لم يفرق بين كتابة الأسماء والكلام وكتابة المسميات والأعيان كما جرى لطائفة من الناس فقد غلط غلطا سوى فيه بين الحقائق المختلفة كما قد يجعل مثل هؤلاء الحقائق المختلفة شيئا واحدا كما قد جعلوا جميع أنواع الكلام معنى واحدا<sup>3</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 383

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 240

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 566

قال تعالى { **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {51} وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ {52} وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ {53} القمر 51-53** } وإنما في الزبر ذكر أعمالهم وكتابة ذلك<sup>1</sup>

## الحفظة الموكلين بنبي آدم

قال تعالى { **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {51} وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ {52} وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ {53} القمر 51-53** } ذكر الله الحفظة الموكلين بنبي آدم الذين يحفظونهم ويكتبون أعمالهم في مواضع من كتابه<sup>2</sup>

## احصاء الأعمال يتضمن الوعيد بالجزاء

كذلك في العلم بالرؤية كقوله تعالى { **أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ {7} البلد 7** } وقوله تعالى في الذي ينهى عبدا إذا صلى { **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى {العلق 14}** } وقوله تعالى { **وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ {التوبة 105}** } وقوله { **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ {الزخرف 80}** } وقوله تعالى { **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ {52} وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ {53} القمر 52-53** } وأمثال ذلك فذكر رؤيته الأعمال وعلمه بها واحصائه لها يتضمن الوعيد بالجزاء عليها كما يقول القائل قد علمت ما فعلت وقد جاءتني أخبارك كلها وأمثال ذلك فليس المراد الاخبار بقدرة مجردة وعلم مجرد لكن بقدرة وعلم يقترن بهما الجزاء اذ كان مع حصول العلم والقدرة يمكن الجزاء ويبقى موقوفا على مشيئة المجازي لا يحتاج معه الى شيء حينئذ فيجب طلب النجاة بالاستغفار والتوبة اليه وعمل الحسنات التي تمحو السيئات<sup>3</sup>

## الكبائر هي ما فيها حد في الدنيا أو في الآخرة

الكبائر هي ما فيها حد في الدنيا أو في الآخرة كالزنا والسرقه والقذف التي فيها حدود في الدنيا وكالذنوب التي فيها حدود في الآخرة وهو الوعيد الخاص مثل الذنب الذي فيه غضب الله ولعنته أو جهنم ومنع الجنة كالسحر واليمين الغموس والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وشهادة الزور و شرب الخمر ونحو ذلك هكذا روى عن ابن عباس وسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل وغيرهم من العلماء قال تعالى { **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا {النساء 31}** } وقال تعالى { **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ {الشورى 37}** } وقال تعالى { **الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ {النجم 32}** } وقال تعالى { **وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا {الكهف 49}** } وقال تعالى { **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {51} وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ**

<sup>1</sup> القواعد النورانية ج: 3 ص: 396

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 251

<sup>3</sup> مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 321



في الزُّبُرِ {52} وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ {53} القمر 51-53 و أكبر الكبائر الاشرار  
بالله ثم قتل النفس ثم الزنا كما قال تعالى {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي  
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ} الفرقان 68 الآية<sup>1</sup>

## التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله

قال تعالى { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } {54} في مَفْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ {55} القمر 54-55  
التقوى كما فسرها الاولون والآخرين فعل ما امرت به وترك ما نهيت عنه كما قال طلق بن حبيب  
لما وقعت الفتنة اتقوها بالتقوى قالوا وما التقوى قال ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب  
الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وقد قال تعالى في اكير سورة في  
القرآن {الم} {1} { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } {2} { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ  
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } {3} البقرة 1-3 الى اخرها فوصف المتقين بفعل المأمور به من الإيمان والعمل  
الصالح من اقام الصلاة وابتاء الزكاة وقال { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } البقرة 21 وقال { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ  
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا  
عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ  
} البقرة 177 وهذه الآية عظيمة جليله القدر من أعظم آي القرآن واجمعه لامر الدين وقد روى  
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن خصال الايمان فنزلت وفي الترمذي عن فاطمة بنت قيس عنه  
انه قال ان في المال حقا سوى الزكاة وقرأ هذه الآية وقد دلت على امور أحدها انه اخبر  
ان الفاعلين لهذه الامور هم المتقون وعامة هذه الامور فعل مأمور به الثاني انه اخبر ان هذه  
الامور هي البر واهلها هم الصادقون يعنى في قوله آمنة وعامتها امور وجودية هي افعال  
مأمور بها فعلم أن المأمور به أدخل في البر والتقوى والايمان من عدم المنهى عنه وبهذه الاسماء  
الثلاثة استحقت الجنة كما قال تعالى { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } {13} { وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ } {14}  
الانفطار 13-14 وقال { أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } ص 28 { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ  
{ القمر 54 وقال { أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ } السجدة 18<sup>2</sup>

## لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان

فان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان لم يعلقه باسم الإسلام مع إيجابه الإسلام واخباره أنه  
دينه الذي ارتضاه وأنه لا يقبل دينا غيره ومع هذا فما قال ان الجنة أعدت للمسلمين ولا قال وعد الله  
المسلمين بالجنة بل انما ذكر ذلك باسم الايمان كقوله { وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 659

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 132-133

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ { التوبة 72 } فهو يعلقها باسم الايمان المطلق أو المقيد بالعمل الصالح كقوله { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } النساء 122 الآيات في هذا المعنى كثيرة فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة وبالسلامة من العذاب علق باسم الايمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم أن المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ولم يعلق باسم الإسلام فلو كان من أتى من الايمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلماً لا مؤمناً لكان من أهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلماً وان لم يسم مؤمناً وليس الأمر كذلك بل الجنة لم تعلق الا باسم الايمان وهذا أيضاً مما استدل به من قال إنه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة اذ لو كان الأمر كذلك لكان وعد الجنة معلقاً باسم الإسلام كما علق باسم الايمان وكما علق باسم التقوى واسم البر في مثل قوله { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } {54} فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ {55} القمر 54-55 وقوله { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } الانفطار 13 وباسم أولياء الله كقوله { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {62} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } {63} لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } {64} يونس 62-64 فلما لم يجر اسم الإسلام هذا المجرى علم أن مسماه ليس ملازماً لمسمى الايمان كما يلزمه اسم البر والتقوى وأولياء الله وأن اسم الإسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وان كان الله يثيبه على طاعته مثل أن يكون في قلبه ايمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار لأن في قلبه مثقال ذرة أو أكثر من مثقال ذرة من ايمان<sup>1</sup>

### { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ }

اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها اذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تزجر به عن شيء من معصيته فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا فقد { اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ } الأنعام 71 فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لا بد ان كان له كذا من أن يكون له كذا فعلى عن البين بالخفى فجحد ما سمي الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يملئ له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ } {22} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } {23} القيامة 22-23 فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الى وجهه ونصرتهم إياهم { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ } القمر 55 قد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر اليه ينضرون الى ان قال وانما جحد رؤية الله يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لأنه قد عرف أنه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحدا وقال المسلمون يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك وقال رسول الله لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 347

قدمه فتقول قط قط وينزوي بعضها الى بعض وقال لثابت بن قيس لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة وقال فيما بلغنا ان الله تعالى ليضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم فقال له رجل من العرب ان ربنا ليضحك قال نعم قال لا نعدم من رب يضحك خيرا الى أشباه لهذا مما لا نحصيه وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام فتدبره وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقا لغيره من الأئمة وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزمهم من اثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم ان يكون جسما أو عرضا فيكون محدثا<sup>1</sup>

## لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } القمر 50 فإن أهل اللغة يسمون بالواحد والوحيد والأحد في النفي لما يشار إليه ويميز الحس منه شيئا من شيء قال تعالى { وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } القمر 50<sup>2</sup>

2- قال تعالى { وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ } القمر 52 وفي قوله { وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ } الشعراء 196 فإن المراد بذلك ذكره وكتابتته و الزبر جمع زبور والزبور فعول بمعنى مفعول أى مزبور أى مكتوب فلفظ الزبور يدل على الكتابة وهذا مثل ما فى الحديث المعروف عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا وفى رواية متى كتبت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد رواه أحمد فهذا الكون هو كتابته وتقديره<sup>3</sup>

والزبر جمع زبور وهي الكتب فإن منهم من أنزل عليه كتاب ومنهم من أرسل بتجديد الكتاب الذي قبله<sup>4</sup>

3- قال تعالى { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } 54 { فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ } 55 { القمر 54-55

قوله تعالى { تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } البقرة 25 فيقال النهر كالقرية والميزاب كما يستعمل لفظ القرية تارة فى السكان فى مثل قوله { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا } يوسف 82 وتارة فى المساكن ونحو ذلك يراد به الحال ويراد به المحل فاذا قيل حفر النهر أريد به المحل واذا قيل جرى النهر أريد به الحال<sup>5</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 43

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 435

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 383

<sup>4</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 383

<sup>5</sup>مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 464

4- قال تعالى { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } {54} فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ {55} القمر 54-  
**55** عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك إذا أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم التقوى إذا أفرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محذور قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } {54} فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ {55} القمر 54-55 وقد يقرب بها اسم آخر كقوله { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً } {2} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } {3} الطلاق 2-3 وقوله { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ } يوسف 90 وقوله { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ } النساء 1<sup>1</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164

{ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ  
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ  
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ }

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

####